المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثالث والثلاثين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٥

الجيش العثماني

ذكرنا منذ شهرين ما وقفنا عليهِ من تعداد الجيش العثماني اجابة لسائل ثم وقفنا على رسالة بعث بها مكاتب التيمس الحربي الى جريدتهِ فصّل فيها احوال الجيش العثماني ونظامهُ ومقدرتهُ ومدارسهُ الحربية في الاستانة وسائر ما يتعلق بتاريخهِ منذ اكثر من نصف قرن . فرأينا ان ننقل خلاصتها للقراء قال

" عُرف الجيش العثماني انهُ جيش عظيم يلقي الرعب والهلع في النفوس وكان فيما مضى ولا يزال الآن ممتازًا بقوتهِ وتدريبهِ وطاعتهِ واستعدادهِ الحربي ومقدرتهِ على احتمال الكوارث والرزايا . ولقد جرى الاتراك على النظام الحربي سنة ١٨٤٣ قبلما وضعت المانيا نظامها الحربي الحاضر بزمان طويل فادخلوا قانون القرعة العسكرية والجنود الاحتياطية وجعلوا الجيش مؤلفًا من فيالق وكتائب وفرق وطوابير . ولما انتهت حرب القريم وضعوا لهُ نظامًا جديدًا بمعاونة ضباط فرنسويين وفي سنة ١٨٦٩ كان من مقتضى النظام الجديد جعل الخدمة العسكرية ١٨ عامًا منها ستة نظامية وستة للرديف او الخدمة الاحتياطية وستة للمستحفظ . ولما نشبت الحرب بين تركيا وروسيا سنة ١٨٧٧ كان الجيش العثماني ١٤٠ الف جندي في زمان السلم وفي الوسع جعلهُ ٢٢٧ الفًا في زمان الحرب وفقًا للنظام المذكور آنفًا على ان هذا العدد لم يملأ عيون العثمانيين بل وجدوهُ قاصرًا عن المطلوب فانصرفوا الى زيادتهِ مراعاة لاحكام الضرورة فاصبح الجيش العثماني لا يقل عددهُ عن ٧٥٠ الفًا

ولقد ترأس دولة مختار باشا الغازي الجنة التي الفت سنة ١٨٨٠ لوضع نظام جديد للجيش . وبعد ذلك بسنتين وصل الى الاستانة الكولونل كرهلر احد اركان الحرب في الجيش

الالماني الامبراطوري وكان معه ثلاثة ضباط فشرعوا في تنظيم الجيش باحكام عظيم وسنة ١٨٨٣ توفي هذا الكولونل فخلفه الجنرال مولتز الالماني وهو من اليوم ضباط الالمان واوسعهم حذقاً في الاصول العسكرية وما كاد يتولى شؤون التنظيم والتدريب في الجيش العثماني حتى ادخل فيه اصلاحات خطيرة ووضع له قوانين مضبوطة . ثم عين نائب اركان حرب فتمكن بهذا المنصب مع ما كان منوطاً به من التفتيش العام للتمرين العسكري من تذليل الصعوبات التي تعترضه حيث يجد المصلح من المشاكل ما يكاد يذهب بنشاطه وعزمه

اما جلالة السلطان فهو رئيس الجيش الاعلى وتقسيم الجيش وسائر ما يتعلق بتدريبه وحركاته منوطان بديوانه الحربي وتحت رئاسته تتألف لجنة التفتيش العام من ثلاثين ضابطاً لدرس المشروعات المتعلقة بالنظام العسكري اما نظارة الحربية فتمتاز عن غيرها من النظارات الحربية في العالم بان لها نفوذاً مزدوجاً لانها مقسومة الى ادارتين مستقلتين كل واحدة منهما منفصلة عن الاخرى وهما ادارة ناظر الحربية وادارة السر عسكرية ويناط بها امر الحصون والمواد الحربية وتتولى شؤون المدفعية والمهندسين واحوال الجيش كلها

اما التعليم العسكري في تركيا فتام من جميع وجوهه لان فيها ٢٢ مدرسة حربية ابتدائية لا يقل طلابها كلها عن ٤٠٠٠ يتلقون الدراسة فيها اربع سنوات . وفيها ايضاً ثماني كليات حربية يتراوح عدد الطلبة في كل منها بين ٨٠ و ٢٥٠ طالباً ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات وفي بنكلدي (احدى ضواحي الاستانة) مدرسة اخرى للمشاة والفرسان لا يقل عدد طلابها عن ٥٠٠ يتعلمون ثلاث سنوات ايضاً وهناك مدرسة اخرى للمدفعية والمهندسين وكلية كبيرة لاركان الحرب تزيد مدة الدراسة فيها سنة عما هي في كلية كمبرلي على ان نفقة التعليم في هذه المدارس لا تراعى فيها شروط الاقتصاد لان في مدرسة بنكلدي وحدها ٩٧ ضابطاً و ٤٤ استاذاً و ٤٥ معاون استاذ لتعليم طلابها وهم ٥٠٠ طالب فقط كما تقدم

وتؤخذ الجنود من الولايات الشاهانية كلها الا اليمن والحجاز وطرابلس الغرب . اما شروط الخدمة فقد صدرت بها ارادة سنية سنة ١٩٠٣ واصبح اجلها عشرين سنة بدلاً من ١٨ اي تسعاً نظامية وتسعاً رديفاً واثنتين استحفاظاً و يبلغ عدد الجنود التي يستطيع جلالة السلطان ان يحشدها ١٠٤٠٠٠٠ جندي بين رديف ونظامي ومستحفظ وفي الولايات الشاهانية سبع مراكز للفيالق وهي الاستانة وادرنه وسالونيك وارزنجان ودمشق وبغداد وصنعاء وفي كل منها فيلق او عرضي تختلف درجته عن درجة غيره على حسب اختلاف المراكز في الاهمية

صورة خطة سكة الحديد حيث تفرق سكة الواحات عن سكة الحكومة

الواحات المصرية

الواحات منخفضات في صحراء افريقية فيها اراضٍ زراعية مسكونة. والواحات المصرية سلسلة من هذه المنخفضات ممتدة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي موازية لوادي النيل ومنها واحة سوى والواحة البحرية والداخلة والخارجة الاولى غربي الفيوم والاخيرتان غربي القصر

وتاريخ الواحات غامض جدًّا غير ان ذكرها في الكتابات الهيروغليفية القديمة يدلُّ على ان الناس اكتشفوها وسكنوها منذ زمان طويل فقد قرأ بروكش في كتابة قديمة وجدت في القصر ينتهي تاريخها الى السنة الخامسة والعشرين من ملك يسمى الاول (سنة ١٠٣٣ قبل المسيح) ان الواحات كانت منفىً للمجرمين فقد جاء في تلك الكتابة ان بينتم سمح لبتية حزب وعمسيس (وكانوا قد نفوا اليها) بالرجوع منها. وسكان الواحات الاصليون كانوا غرباء عن مصر ولكنهم كانوا يؤدون الجزية الى ملوكها منذ ايام تحتمس الثالث (١٦٠٠ قبل المسيح). واشار هيرودوتس الى الواحة الخارجة في كلامهِ على الجريدة التي ارسلها كمبيس ملك الفرس الى واحة سوى وهلك منها خمسون الفًا فقال "ان عساكر كمبيس وصلت بعد مسيرة سبعة ايام في الرمال من طيبة الى مدينة الواحة التي يقال لها جزيرة المطريين"

وفي الواحات آثار كثيرة يونانية ورومانية يستدلُّ منها ان الواحة الخارجة كانت تحت امر حاكم عسكري تابع لولاية طيبة وانها كانت محطة عسكرية على الطريق بين مصر والولايات الرومانية في شمالي افريقية

وورد ذكر الواحات في كتب جغرافيي العرب كابي الفداء والمقريزي وينتدل من كلامهم انها كانت قد فقدت في ايامهم كثيرًا من شأنها السالف

وخصب الواحات ناتج عن المياه التي في طبقات ارضها السفلى فحيثما وجدت منفذًا طبيعيًّا او حيثما حفر الناس آبارًا ارتوازية رفعها الضغط المتصل بها الى وجه الارض

وصناعة حفر الآبار في الواحتين الداخلة والخارجة قديمة جدًّا من ايام الرومانيين ثم فقدت مدة طويلة ولم تعد الا في القرن الماضي والفضل في ذلك لرجل فرنسوي اسمهُ ايمه فانهُ استحضر آلة لحفرها واستأذن محمد علي باشا في نقلها الى الواحات واقام اولاً في الخارجة وانشأ معملاً للنيلة ولاستخراج الشب

وفي الخارجة قرًى كثيرة يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية آلاف نفس وفيها نحو مئتين الف نخلة ومثلها بئر وحيواناتها الاليفة الخيل والبقر والغنم والمعزى وفيها من الطيور الداجنة الحمام

والدجاج والديوك الرومية ومن حيواناتها البرية الضبع والذئب والثعلب . والكرم قليل فيها الآن بعد ان اشتهرت في الزمن القديم بجودة خمرها . وقد اكتفت من عنب الكرم الذي زرعته الشركة حديثاً فاذا هو طيب الطعم كجود انواع العنب . ويكثر فيها السنط والدوم ويصدر من حاصلاتها التمر ويبتدئ موسم التمر عندهم في اغسطس وينتهي في يناير وعليه اعتمادهم

وقد رأى بعضهم ان استثمار هذه الواحات يجب ان يكون اسهل على ابناء هذا العصر منهُ على ابناء العصور الغابرة فسحرها اولاً وطلبوا من الحكومة المصرية ان تجيز لهم انشاء سكة حديدية اليها وان تمنحهم ما يحيونهُ من الاطيان فيها فاجابتهم الى طلبهم وألفت لذلك شركة مصر الغربية فانشأت سكة الحديد اليها واحتفلت بافتتاحها رسمياً في اواسط الشهر الماضي احتفالاً حضرهُ عطوفتلو نخري باشا ناظر الاشغال العمومية وجمهور غفير من وجهاء النزلاء وارباب الاموال ومكاتبي الجرائد وكنت في جملتهم نائباً عن المقطم فوصلنا في ١٧ يناير الساعة السابعة صباحاً الى مفرق الخارجة حيث يفترق الخط الذي مدتهُ الشركة المذكورة عن سكة حديد الحكومة شمالي فرشوط باربعة كيلومترات فتناولنا الفطور هناك ثم انتقلنا من القطر الذي كنا سائرين فيهِ الى قطر الشركة

ولما وصلنا الى قرة حيث المحطة الاولى لسكة حديد الشركة وجدناها مزدانة بالرايات والاعلام المصرية فنزلنا للاحتفال رسمياً فتناول عطوفة نخري باشا مفتاحاً من الفضة وفتح بهِ باب المركبة المخصوصة لاكابر المدعوين ثم قلدتهُ قرينة سعادة حسن باشا مدالية ذهبية نقش على وجه منها اسم الشركة وعلى الوجه الآخر قاطرة سائرة في الصحراء واسم سكة الحديد وتاريخ فتحها وقام المستر مانفيل رئيس الشركة بكلام قليل موافق للمقام ولما وصلنا الى الكيلومتر ١٠٠ تناولنا الغداء في خيمة مضروبة وسط الصحراء وبعد الغداء شاهدنا رقص الراقصات من اهل قنا ثم استأنفنا السير فوصلنا الى الخارجة نحو الساعة الرابعة بعد الظهر وقصد كل منا المحل المعد لهُ ثم تناولنا العشاء فاكلنا اكل من اشتد بهِ الجوع من تأثير الصحراء

وبات بعضنا في محطة المكنات حيث يقيم مستخدمو الشركة والبعض الآخر في خيام قرب الخارجة . واستيقظنا صباحاً نستنشق الهواء المنعش وخرجنا فاذا نحن في متحدر تحيط بهِ غابات النخل من جهة والتلال من جهة اخرى تعلوها الهياكل وآثار المباني القديمة وامامها سهول خضراء فيها الشعير والبرسيم من المزروعات فمشينا نحو ربع ساعة في غابات النخل ورأينا المياه تتدفق من العيون او الآبار الارتوازية ثم وصلنا الى هيكل عظيم على قمة تلة مبني بحجارة رملية ضخمة عليها نقوش وصور كثيرة وكتابات هيروغليفية من الداخل

والطاوج . والصور منوعة بانون بديعة جدًّا ولم تزل الوانها على جمالها مع ما مرَّ عليها من السنين كأنها صنعت بالامس ودخل فيكل اكمة كبيرة منقوشة نقشًا بديعًا ويقال له

ميكل هيبس

هيكل هيبس نسبة الى مدينة هيبس او هبت وقد بني في زمن داريوس الاول وداريوس الثاني حينما كان الفرس متسلطين على القطر المصري

وشاهدت على قمة اكمة اخرى بقايا كنيسة قديمة بناها الاسقف نسطوريوس حين نفي الى هناك سنة ٤٣٥ للميلاد وعلى جدرانها كتابات كثيرة عربيَّة نقشها عليها الزوار الذين

زاروها من جهات القطر المصري وبلاد السودان والحبشة مئة وثمانون من السنين

ورجعنا من هناك الساعة الواحدة بعد الظهر فوجدنا غيثة رحبة مشروبة وفيها مائدة كبيرة حولها مئة وعشرون كرسيًّا لمدعوين ورجال الشركة وعليها اخر انواع الطعام والمدام فجلس عطوفة فخري باشا في صدر المائدة وجلس المستر ارمسترنج عن يمينه والمستر ماتيل رئيس الشركة عن يساره ثم سعادة عبد الخالق باشا ثروت مدير اسيوط ثم سعادة حسن باشا مدير اشغال الشركة فسائر المدعوين. وبعد الطعام نهض المستر ماتيل وطلب من الحضور ان يشربوا معهُ نخب الجناب العالي فوقف الجميع اكرامًا وشربوا نخب سموه ثم نهض عطوفة فخري باشا وفاه بخطبة فرنسوية قال فيها ان الجناب العالي تنازل وانتدبني لانوب عن سموه في حفلة افتتاح سكة حديد الواحات التي تصل هذه الواحات بوادي النيل بعد ان كانت منفصلة عنهُ وعن سككهِ الحديدية الكثيرة وعن جميع الطرق التجارية محاطة بالصحراء الغربية القاحلة وانا لنرجو ان هذا المشروع الذي نحتفل اليوم بافتتاحهِ رسميًّا يأول الى نجاح هذه الجهات بجعل طرق النقل منها واليها مثل امرع واوفر طرق النقل والانتقال الحديثة. ولذلك ارجو لهذه الشركة تمام النجاح في كل اعمالها ومشروعاتها ولا شك ان الاتصال سيتم قريبًا بين القطر المصري وبين سائر الواحات كما تم بينهُ وبين واحة الخارجة لان هذا من جملة الاعمال التي تقصدها هذه الشركة ولذلك اعلن ان سكة حديد الخارجة قد فتحت من الآن للتجارة رسميًّا واني بالنيابة عن المدعوين كلهم اتقدم لرجال هذه الشركة بزيد الشكر على حسن ضيافتهم لنا وسيبقى لذلك احسن تذكار في نفوسنا

ولما اتم عطوفة فخري باشا كلامهُ نهض المستر ارمسترنج وقال ما ترجمتهُ

لقد تكرَّم الجناب الخديوي وحكومتهُ وشرفني الامتياز الذي قامت بهِ هذه الشركة ولذلك اقول كنتين بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن المؤسسين لهذه الشركة اما من جهتي فاني مسرور جدًّا بقيامي هنا الآن حيث نحتفل بعمل مهم جدًّا في تاريخ مصر الحديثة فان القائمين بهذا العمل قد انعدوا الاموال اللازمة لفرفسوا بكل ما اشترطتهُ الحكومة عليهم. والوعد الذي وعد بهِ جنصن باشا سكان هذه الواحة منذ بضع سنوات قد تمَّ الآن ورُدَّت الى مصر بلاد من اخصب بلدانها بعد ان انفصلت عنها زمنًا طويلاً. ولم يكن عملنا سهلاً فان كثيرين ضحكوا علينا واستهزأوا بنا حينما قلنا اننا عازمون على انشاء سكة حديد الى الواحات لانهم قالوا انه لا نعلم اين تبتدئ هذه السكة ولا اين تنتهي والآن اقف في وسط ارض لا تقل مساحتها عن الف ميل مربع كثروها اطيان صالحة للزراعة وافتخر بقولي اننا انشأنا

هذه السكة وقمنا بهذا العمل العمومي العظيم واثبتنا لكم وللعالم اجمع وجود اطيان وسيعة يمكن زرعها ووجود الماء الغزير لريها والعمال المكافين للعمل فيها . ويمكننا الآن ان ننسى ما مضى ونصفح عن الذين اساؤوا الينا . وان ما اظهرتموه عطوفتكم من السرور والرضى يكفيني جزاء حسناً فاشكر عطوفتكم على ذلك واطلب من الله ان يوفق اعمالنا لتأول الى نفع هذه البلاد ولتبقى مثالاً للاعمال العمومية النافعة . هذا ولا اخفي عليكم انني اكبر مساهم في هذه الشركة على ما اظن ولي فيها خمسون الف جنيه اكثر مما لاي شخص آخر واسعى الآن اكثر مما كانت قبلاً وانا عازم ان ابقى متصلاً بها ما دمت في صحتي وما دمت قادراً على خدمتها بجسمي وعقلي

ثم تلاه المستر مانشيل رئيس الشركة وقال ما ترجمتهُ انني بالنيابة عن الشركة ارحب بحضراتكم جميعاً واتبتُ لكم شكري وشكر سائر اعضاء الشركة على ما تجشمتموهُ من المشاق في مجيئكم الى هذا المكان لمشاهدة الاحتفال باتمام الجزء الاول من مشروعنا الذي يحقُّ لي ان ادعوه عظيماً فعطوفة نخري باشا موفد من قبل الجناب الخديوي لكي يعلن افتتاح القسم الاول من سكتنا الحديدية ونحن شاكرون لسموهِ مبتهجون لانهُ رأى تعلقنا من الاهمية ما يستحق اعتناءهُ كما نحن شاكرون لعطوفة نخري باشا على الاقوال التي فاه بها وبيَّن فيها انهُ يقدر عملنا قدرهُ وعندنا ان عمل شركتنا كبير الاهمية للقطر المصري فان اطيان الوجه القبلي والوجه البحري مساحتها محدودة وان كانت اخصب اراضي المسكونة وقد وفقنا نحن الى ان نزيدها ارضاً واسعة جداً صالحة للزراعة . واسم الشركة التي لي الشرف ان ارأسها الآن شركة مصر الغربية ولا اظن انهُ يمكن ان يوجد لها اسم اصلح من هذا الاسم لان غرضها ان تضيف بلاداً واسعة الى القطر المصري يصحُّ ان يطلق عليها اسم مديرية مصر الغربية . ولقد خصَّت الطبيعة القطر المصري بفيضان النيل الذي يرويهِ ويجلب لهُ الخصب ونحن هنا محرومون من ماء النيل ولكن الطبيعة اعطتنا ما يقوم بري ارضنا وخصبها فقد فاضت المياه العذبة لتتدفق من الآبار الارتوازية وتجري على الارض وترويها من غير آلات رافعة وعندنا ههنا مقادير كبيرة من السماد الطبيعي من الفصفات والنيترات وهي من اصلح الاسمدة للارض والتجارب التي جريناها حتى الآن تدل على نجاح الزراعة التام وعلى ان الذين يتاجرون الاطيان منا ويزرعونها يربحون في عملهم فالقطن الذي زرعناهُ وجنيناهُ يدل على انهُ ينتج من هنا اجود انواع القطن وان محصول الفدان منهُ قد لا يقل عن متوسط محصول الفدان في وادي النيل . ويمكننا ان نقول من الآن انهُ لا تمضي سنون كثيرة حتى نرى اطياناً وسيعة

في هذه الواحة مزروعة احسن زراعة ويزيد عدد السكان من الآن فصاعداً لان مهاجرتهم ستقل ولا يبعد ان يعود بعض الذين هاجروا قبلاً . وسكة الحديد التي شاهدنا افتتاحها ستقل حاصلات هذه البلاد الى حيث تباع باغلى الاثمان . والاهمية الكبرى في وادي النيل للحاصلات الزراعية لا لسواها اما هنا فعندنا مواد تصلح للصناعة لعمل اجود انواع السمنت ولعمل الخزف والقرميد . وعندنا ايضاً انواع مختلفة من الحجر الجيد الصالح للبناء وقد اخذنا بمقاولة من الحكومة لتوريد الحجارة اللازمة لها في اعمال الري . وعندنا فوق ذلك مواد كثيرة ثمينة من النترة والشب وسنستخرجها مع الزمن ولا بد من تسهيل الوصول الى الواحة الداخلة باسرع ما يمكن وقد ظهر لنا بالبحث ان هناك من المواد ما هو اثمن مما يوجد هنا فضلاً عن ان السكان هناك اكثر كثيراً والاراضي الزراعية اوسع .

وقبل بعد الغداء وركبنا القطار فسار بنا الى حيث توجد الاطيان التي زرعتها الشركة وساحتها نحو اثني فدان فرأينا المياه تتدفق من الآبار الارتوازية من نفسها والبئر منها تكفي لزراعة مئتين وخمسين فداناً والزراعة التي رأيناها في الارض هي الشعير والبرسيم وبقايا المقطن وكان جانب كبير منها قد زرع فولاً سودانياً وحمساً ورأينا في المخازن كميات كبيرة من محصولها . والتربة طين اصفر ذميم جداً والارض لا تحتاج الى التقصيب وقد انشأت الشركة فيها بستاناً زرعت فيه البرتقال والعنب والموز وغيرها من الاشجار ورأينا عند عمدة البلد جنينة فيها كثير من اشجار البرتقال وثمره كبير طيب الطعم ولكن قشرته صفراء اللون

وبلد الخارجة فيها نحو ستة آلاف من السكان وبيوتهم اكواخ صغيرة من الطين واسواقها مبنية تعلوها البيوت من الجانبين ولها ابواب كانوا يقفلونها خوفاً من غارات الاعداء وهم صغار الاجسام نحيف الابدان صفر الالوان . وقد سمعت من كل الطبيبين والزراعة من الذين كانوا معنا ان تربة الارض في غاية الجودة وان الماء كاف لريها بسهولة وهي لا تحتاج الى نفقة كبيرة لتمهيدها وزرعها . ومما هو جدير بالذكر ان المتداولين الذين انشأوا سكة الحديد وهم الخواجات جوسمان وديتامار تغلبوا على اشد المصاعب في انشاء سكة طولها نحو مئتي كيلو متر وفيها انخفاض مقداره نحو ٣٦٠ متراً في ما طوله ٢٩ كيلو متراً فاضطروا ان يردموه كله لا سيما وان ليس في السكة ماء مطلقاً فكانوا يضطرون ان يجلبوا ماءهم من النيل يومياً وكان عندهم من الابل ثلاثة الاف نفس ومع ذلك اتموا العمل كله في سبعة عشر شهراً

فنكرر الشكر لهذه الشركة على ما بذلته من العناية لراحة المدعوين وندعو لها بالنجاح التام

نجيب صروف

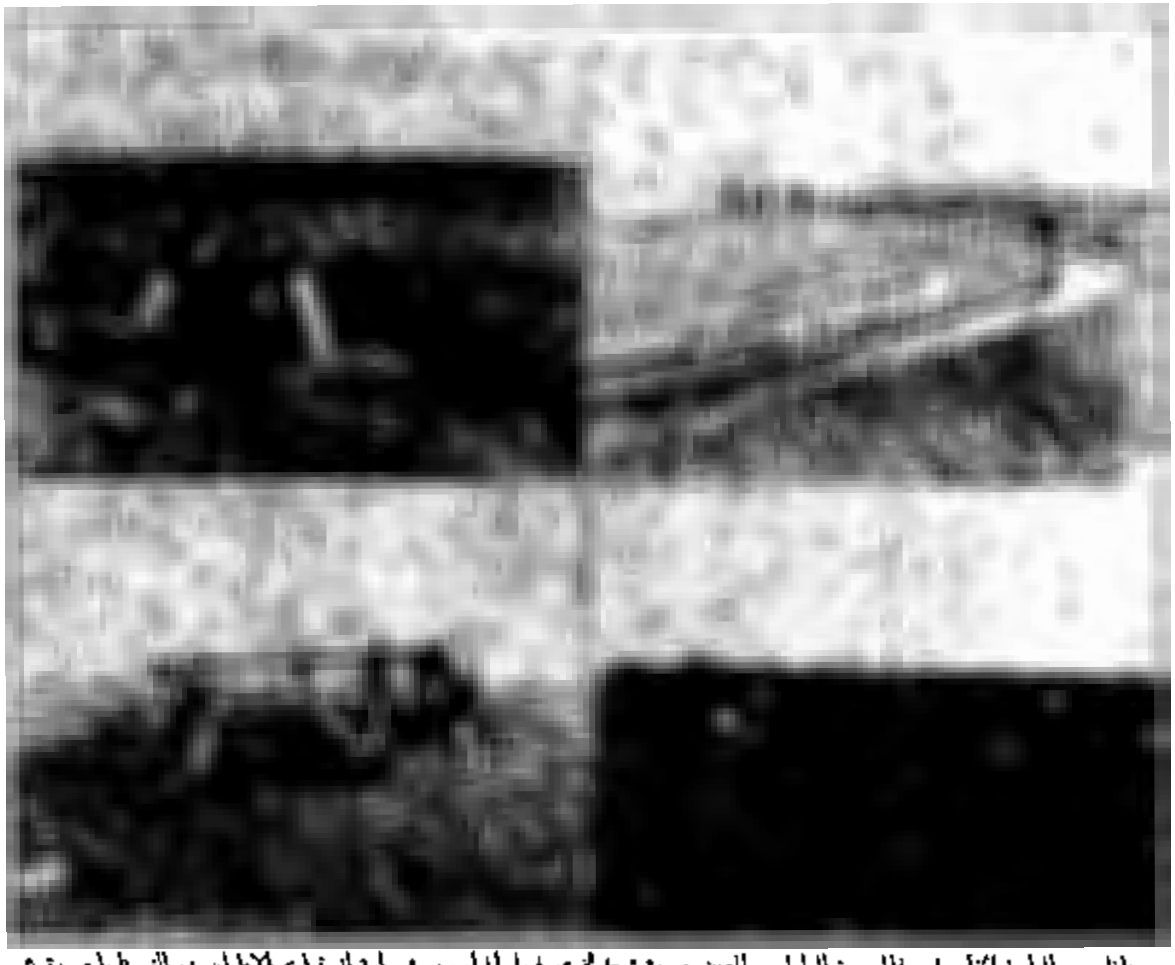

مناظر من الواحة الخارجة . فالصورة العليا من اليمين صورة ترعة تجري فيها المياه من بئر ارتوازية أربي الاطيان . والتي تليها صورة بئر ارتوازية والماء جداول من انبوب كبير موضوع فيها . والتي تحتها صورة أناس واقفين في أرض مزروعة قطنا وتليها صورة فلاح يحرث أرضه

علم ما في الزمان المستقبل

بسم البديع المنطق اللسان في منهج البيان والمعاني
والحمد للهادي الى الحق الجلي في ما مضى والحال والمستقبل
حمدًا عداد الزهر في الزرقاء ما أشرقت والزهر في الغبراء
وبعد فالمستقبل المجهول موضوع افكاري وما اقول
والغاية العظمى اكتشاف ما استتر فيه بجلب النفع او دفع الضرر
وهو الزمان المقبل الذي اتصل بالحال ممتدًا الى ما لم يزل
دهرٌ خفيٌّ ما رآه من بشر وما بدت شمس به ولا قمر
ظرفٌ لهول وامانٍ ورضا وغضب احرّ من نار الغضا
يخشاه قلب الجاهل الجبان والهمّ منه مالئ الجنان
وكلما اهتمّ به يزيد اهواله ولا يعي الرعديد
فاشجع ولا تهتمّ جهدًا بالذي لم يوجد ذاك اهتمام بالذي قد وجد
ولستُ ابغي طرحك العنايه بكل امر ذاك غير الغايه
فكلّ ذي لبّ يريد العدّه دفعًا لما يأتي زمان الشدّه
لكنه يهتمّ باعتدال بكلّ ذي شأن في الاستقبال
كم خائف مُرّ عيشة التفتير فعاش مُرّ العيش بالتفتير
يا ويله ما فرّ منه قد وقع فيه وهذا حظّ ارباب الطمع
كم صابر على بلاء مرهق وجازع من نكبة لم تخلق
يا ايها المستقبل المحجّبُ في كشف ما حجّبت كلٌّ يرغبُ
وبعض ما واريتَ بالحجاب صرفُ النهى عنهُ من الصواب
لو علم الله يجلي امره للناس خيرًا ما قضى يستره
في كشف كل السرّ آفات الوجل وخيبة المسعى وابطال العمل
هذا على ان الذي يعلمُ ما في الغيب بالنافع منهُ أعلما
اعلمهُ لحاضرٍ وبادِ بيبنات الحيّ والجمادِ
باحت به السنة الشريعه في صفحات الوحي والطبيعه

سلاسلُ العلة والمعلولِ تبدي لك الاسرارَ بالدليلِ
فشأنُ ما كان الذي يكونُ اما اباتَ ذلك القرونُ
عاقلُ الاسباب منهُ يعلمُ عاقلُ المسببات الحكمْ
وكلُّ ما دار من الحوادثِ مفتاح علم الغيب عند الباحثِ
من ذلك الخسوف والكسوفُ كلاهما في وقتهِ معروفُ
والقبةُ الخضراء ذاتُ الحبكِ وكلُّ نجمٍ سابحٍ في فلكِ
والمدُّ ثم الجزرُ والانواء والغيثُ حيثُ اشتدَّتِ الرمضاء
والكاشفُ الشمسيُّ والفصولُ ومثل هذا سردهُ يطولُ
وكلُّ ما في عالم الانظارِ يجري بلا ريبٍ على الادوارِ
والدهرُ دولابٌ عظيمٌ دائره احداثهُ في ضمن تلك الدائره
فان تزد عنّي تزد كشفاً لما في غابر الازمانِ عنا كتما
فكلُّ ذي معرفةٍ جزئيه عليهِ اسرارُ القضا خفيَّه
اما انا فلستُ عنكم اكتمُ اني علمتُ اني لا اعلمُ
وانَّ ما في دفتر المقدَّرِ غير الذي سطَّرتهُ في دفتري
لكنني اسري على نور العلمْ معتقداً ما خطَّ في اللوح القلمْ
فكل إثمٍ بعدهُ عقابُ وكل برٍّ بعدهُ ثوابُ
وكل ما في عالم الباري نزلْ جارٍ بلا جورٍ على شرع الازلْ
شرعٌ قديمٌ محكمٌ لا ينسخُ اسبابهُ معقودة لا تفسخُ
من ذاك بدري العالم الخبيرُ ما كنَّ في المستقبل الدجيرُ
مثال ذا ان الكمالى تفتقرْ بعد الغنى فليعتبر من يدَّكر
وكلُّ سكيرٍ على العيالِ يجني بفقد صحةٍ ومالِ
وربما جنَّ وربما عمي فلم يفز مغنماً من مغرمِ
وربما مال الى سفك الدما من غير جزمٍ واستحلَّ المحرَّما
وكل مملوك نشيط في نعم يمسي ولو كان ابن من يرثى الشمم
وربما صار الى اعلى الرتب فليس كلُّ المجد عن امٍّ وابْ
وجملة المقصود ان الآتي يدرى من الاعمال والصفاتِ

ابرهيم الحوراني

ترع المرّيخ والحياة فيهِ

الترع في حال حركاتها

ذكرت سابقاً صفات الخطوط والنقط حسبما تظهر في اي وقت رُصدت والآن اذكر التغيرات التي تطرأ عليها وتجعل مجال البحث فسيحاً لديذاً . وهذه التغيرات هي تأثير السيل والفيضان . ففي بادىء الامر تكون الترع غير واضحة لا تكاد ترى ولكن بعد مضي وقت تسهل رؤيتها لازدياد وضوحها واول ما يبادر الى الذهن ان ذلك يتوقف على بعد السيار وقربهِ ولكن تأثير المسافة قليل فقد تكون الترع على معظم وضوحها حين يكون السيار في وقت الاقتران وتكاد لا ترى في الاستقبال حين تكون الشروط اللازمة للرصد على اتمها وفي غاية المناسبة والموافقة كأن يكون الهواء قليل الاضطراب تموجاتهُ خفيفة لا تعيق نقل صور الاشباح الدقيقة . واذ لم يكن شيء يحجبها عن العيان استنتجوا ان التغير جوهري واسبابهُ داخلية فيحدث في اوقات معينة اي لابتدائهِ وقت ولانتهائهِ وقت وفقاً لاختلاف الفصول

وهذه الحقيقة توصل اليها الاستاذ لول بعد ان رصد ارصاداً متتابعة مدة سنين عديدة فيها تمكن من تعيين مقدار درجة الوضوح اثناء تعاقب الفصول ودرس طبائع التغيرات وكيفية اختلافها من وقت الى آخر وتحديد اوقات النمو والتأخر والانحطاط واخيراً ثبت عندهُ ان العامل فيها جميعاً واحد وهو ذوبان الثلج ولكن اوقات الزيادة والنقص لا تكون واحدة ومتساوية بل تختلف بعض الاختلاف فتها تكون آخذة في الابتداء بين ان بعضها يكون قد بلغ معظم الزيادة . والنمو يبتدئ اولاً قرب القطب ثم يتدرج متجهاً نحو خط الاستواء ويتعداهُ الى حد ٣٥ درجة في الجهة الثانية منهُ وبعد ان تقل الحرارة ويبرد الهواء يبتدئ التقهقر والانحطاط ويوافق ذلك وقت رسوب الثلج طبقاً لما يصيب السيات على ارضنا على اثر هبوط درجة الحرارة في اواخر الخريف فتذبل الاوراق وتصفرّ وتيبس فتختفي عن النظر . وكما ان النمو يبتدئ قرب القطب ويتدرج الى جهة خط الاستواء هكذا يحدث في حال التأخر والاندثار

وقد وجد ان بعض الترع ينمو بسبب الفيضان الحاصل من القطب الآخر اي ان مياه القطب الشمالي مثلاً تصل الى بعض ترع المنطقة المعتدلة الجنوبية وربما تخطاها . وما قيل عن القطب الشمالي يصدق على القطب الجنوبي ولكن يبقى امر آخر وهو ان بعض الترع التي تظهر كل سنة في اوقاتها المعينة تختفي عن البصر عدة من السنين دون ان يعرض شيء

يمنع رؤيتها . ويظهر من مقابلة ارصاد شيابارلي وارصاد لول ان بعض الترع المتجاورة تظهر بالتناوب وذلك يدل على ان السبب ليس تغير الفصول وذوبان الثلج

اما الشقوق التي تظهر في بقع القطبين فليست الاَّ ترعاً تتصل بغيرها فالبابسة هناك تتألف من اتساع قاحلة لا نبات عليها كالصحراء ومن اراضٍ مخصبة مملوءة بالنبات ومعلوم ان الثلج الذي يسقط على النبات يذوب قبل غيره لان النبات يتضمن حياةً فيكون اكثر حرارة مما يحيط به من الجماد

والتغيرات التي تطرأ على الترع تطرأ على الواحات وفي ذات الوقت ومع ان العرض وفصول السنة هي التي تحدد اوقات النمو وتعيينها لكن وجد ان بعضها لا يتأثر على الاطلاق قبل ان تصل مياه احد القطبين ولو لم يكن ذلك في الفصل المناسب . والنمو في جميعها يبتدئ في الوسط ويمتد الى الخارج ثم يعقبهُ الانحطاط والاندثار

التعليل والايضاح

العلم لا يقف عند ذكر الحوادث المجردة بل يبحث عن الاسباب التي تفعل فيها والقوانين والشرائع التي تفصلها عن غيرها وتجعلها نظاماً قائماً بذاته واول الصفات الخاصة التي يتجه اليها الذهن فتهديه الى طبيعة الخطوط وماهيتها هي تغير لونها بتغير الوقت وهذا لا يمكن التعليل عنهُ بقرب المسافة وبعدها ولا بشيء آخر يحول دون النظر فهو اذاً ليس بعارض بل جوهري وحقيقي وفي اثناء البحث لا بد من ان يتنبه الذهن الى تغيرات اخرى تحدث كل سنة وتقريباً في ذات الوقت على سطح السيار اعني ذوبان البقع الثلجية المتراكمة قرب القطبين وهذا يدل على وجود علاقة تربط تغير لون الترع بذوبان الثلج لان الاول يعقب الآخر

فحينما يذوب الثلج يسود لون الترع القريبة ثم يعقبها ما هو ابعد منها وهكذا بالتتابع حتى يمتد الاسوداد الى ما وراء خط الاستواء . اما سبب الاسوداد فليس الماء الذي يجري في الترع وذلك لامرين الاول ان الماء لا يسبب لوناً اسود والثاني سير امتداد اللون متأخر كثيراً عن سير الماء الجاري ولكن هذين الامرين يدلان على ان السبب ليس الاَّ النبات الذي ينمو على ضفتي الترعة بوجود الماء

فاذا ذاب ثلج القطب تحول الى ماء يجري في الترع ثم يعقبهُ نمو النبات على ضفافها مبتدئاً من القطب سائراً نحو خط الاستواء وذلك عكس ما يحدث في ارضنا فالنمو هنا يتبع سير الشمس مبتدئاً من خط الاستواء متجهاً نحو القطب الشمالي في الصيف والجنوبي في الشتاء ومعلوم ان نمو النبات يتوقف على امرين وهما وجود المواد التي تنمو والعوامل التي تسبب فيها النماء

فالاول يتألف من الاكسجين والنيتروجين والماء وبعض الاملاح والثاني الشمس وحرارتها فاذا فقد احدهما امتنع قيام حياة النبات ولكن اذا اجتمعا معاً تظهر الحياة ويبتدئ النمو . في ارضنا كل افراد العامل الاول متوفرة وعليه فحياة النبات تتوقف على مركز الشمس ومقدار حرارتها بين ان الحالة في المريخ على عكس ما ذكر فهناك البحار وغيرها من مجتمعات المياه نضبت مياهها او غارت ولم يبق منها الا ما يذوب من ثلوج القطبين فينمو النبات اذاً بعد ان يصلهُ الماء القائب وهذا النمو يبتدئ بالطبع من القطب ويتدرج نحو خط الاستواء ويتمدداهُ الى آخر النوع التي تجري فيها مياه ذلك القطب

الحياة

ومما مرّ يترجح وجود النبات لانهُ اكمل وانسب شيء يسلل به عن التغيرات التي نراها سنوياً واذا صح هذا الزعم تمكنا من استنتاج وجود حياة اسمى من حياة النبات — حياة الحيوان لان وجود الواحد يتطلب وجود الآخر كما هو معروف عندنا وذلك ظاهر لكل من تفقد هذا الكون الارضي برّهُ وبحرهُ وارضهُ وهواءهُ فانهُ يجد الحياة عامة منتشرة في كل ناحية من نواحيهِ من خط الاستواء الذي يتقلب السنة كلها تحت اشعة الشمس العمودية الى القطب الذي لا ترتفع الشمس فوق افقهِ زيادة على ٢٣° ويستقر في الظلام والزمهرير مدة ستة اشهر . ومن قمم الجبال الشاهقة التي يبلغ علوها خمسة اميال ونصف ميل الى درك البحار الغائض نحو ستة اميال وتختلف من حجم النيل والارز الى حجم البعوض والطحلب الى الحيوانات الحية المنتشرة بين دقائق السائلات وذرات الهباء والمخلخلة حتى في نسيج العضل وبين كريات الدماء كلها تعيش معاً وفقاً لنواميس الطبيعة . نمو الواحد وتكاثرهُ يتوقف على نمو الآخر وتكاثرهِ فحيثما يوجد النبات يوجد الحيوان الذي يلائمهُ والمحيط الذي يقضي على الواحد يلائمهُ الآخر

والآن اوجه انظاركم الى العلاقة التي بين حياة الحيوان وحياة النبات . من المقرر ان الحيوان يغتذي على النبات او ما يتولد منهُ وهذا يحكم الاضطرار إذ يستحيل عليهِ ان يغتذي راساً من المواد غير الآلية فلو تلاشى النبات لتلاشى الحيوان لان بلازم (Plasm) جسدهِ محصل من بلازم (Plasm) النبات او غيرهِ من الحيوان الذي يغتذي على النبات وما عدا النبات لا يوجد الا نوع من الحيوان يدعى (Nitro Bacteria) يغتذي على المواد غير الآلية او الكهاوية ولكن عكس هذه القضية صادق وصحيح اي ان حياة النبات تتوقف على حياة الحيوان فالدود الذي يثير التربة بمزقهِ لها يجعلها صالحة لنمو النبات ولولاه

لتليدت وجفّت واصبحت كالصخر لا ينمو فيها شيء . ولولا وجود بعض الحشرات والهوام على اختلاف جسمها وانواعها لا نقرض قسم كبير من النبات اذ بواسطتها تنتقل انواعهُ وتنتشر على وجه البسيطة ويتم لقاحها . وكلنا نعلم ان الحيوان يخرج الحامض الكربونيك فيتمصهُ النبات وبعد ان يأخذ الكربون الذي هو لزام حياتهِ يفرز الاكسجين الذي هو عماد حياة الحيوان

وهذا الارتباط الكائن الآن لا بد انهُ وجد قبلاً لانهُ لو تراجعنا من الحاضر الى الماضي او ما يقابلهُ اي لو هبطنا في بحثنا الى اسفل درجات سلّم الحياة في الحيوان لوجدنا حسب رأي النشوء والارتقاء انهُ حالما تحوّلت المركبات الغير الآلية الى آلية كانت صفاتها عامة الى درجة حتى ان ما بقي منها الى الوقت الحاضر يتعذر تعيين نوعهِ هل هو مختص بالمملكة النباتية او الحيوانية فان الكروماشيا (Chromacea) تشبه بعض انواع البكتيريا كل الشبه ولا شيء يفرقها عنها سوى نوع غذائها الذي يجعلها نباتاً ويعتقد العالم هيكل (Haeckel) ان ذلك ليس من الفوارق الجوهرية لان النيترو بكتيريا Nitro Bacteria تتغذى من المركبات غير الالية مع انها من المملكة الحيوانية ويظهر ان اصل هذين النوعين واحد اي بعد ان طرأ على المواد غير الآلية فواعل مختلفة تولد فيها احياء اولية بسيطة جدًّا لا نبات هي ولا حيوان ثم ارتقت هذه الاحياء بفعل العوامل من البسيط الى المركب وما زالت ترتقي حتى تفرع النبات والحيوان في ابسط مظاهرها وعليهِ اذا صح ان اصلاف اصول المملكتين النباتية والحيوانية نشأوا معاً في ارضنا وجب ان ينشأوا معاً في غير الكرة الارضية حيثما تتوفر الاحوال المناسبة ويكون وجود الواحد دليلاً على وجود الآخر

اما امكانية الحياة فتتوقف على الظروف والمحيط واخصها حجم السيار ومادتهُ فالسيارات الكبيرة تتولد عليها الحياة في بحر الزمان لان فيها تتوفر الشروط التي يتم بها ظهورها بينما ان الصغيرة الحجم تبقى عقيمة الى آخر الدهر وسببهُ ان بدء النشوء يتطلب حرارة عظيمة اصلية وداخلية لان حرارة الشمس ليست كافية وكذلك لا بد من جوّ يحيط بالسيار فيحفظ حرارتهُ وحرارة الشمس ويكون وسطاً لطيفاً فيهِ تجري العوامل اللازمة ويتمّ فعلها فاذا كان الحجم كبيرًا والجذب عظيماً بقي الجوّ او الهواء والاّ افلت . وما ذكر عن الجوّ يصدق على الماء الذي هو اهم مجهزات الحياة للاجسام الحية في بادىء امرها وبما ان المادة التي تتالف منها السيارات هي واحدة ومن اصل واحد فبحثنا يكون مقتصرًا على ظروفها وحالاتها وليس على طبيعتها فاذا كانت الكتلة التي تتجاذب اجزاؤها لتكوّن السيار كافية لتسبب ظهور شروط المواد غير الآلية المناسبة وجب ظهور المواد الآلية لان الآلية تتولد من

غير الآلية كما في الحالة في ارضنا وليس ذلك فقط بل اذا اندثرت تمحى الى غير الآلية ويؤيد هذا القول القانون القائل ان كمية المادة والقوة ثابتة لا تتغير فلا تزيد ولا تنقص كذلك اذا قابلنا احط الاجسام الحية " الآلية " مع ارقى الاجسام غير الآلية نجد الفرق زهيداً للغاية ولا يقرب من الفرق الموجود بين اسمى الاجسام الحية واحطها فكأن تحول الغير الآلي الى الآلي او الى جسم حي " تم " او يتم " اثناء هبوط حرارة السيار

والحياة تظهر بعد ان يتحول البخار المائي الى ماء واول ما يظهر فيه الكروماشيا (Chromacea) والكونفرفي (Contervae) واذا هبطت قليلاً ظهرت الاحتاب البحرية Rhizopods ثم النبات البري والحيوانات الفقارية

وخلاصة البحث ان الحياة على سيار ما تتوقف على جرمه اما انواعها وصفاتها فتتوقف على عمره ولكن العمر يتوقف على الجرم لانهُ كلما صغر برد بسرعة وتقدم في العمر . والآن ظواهر سطح المريخ تدل على ان الشروط المذكورة قد تمت فجسمهُ يكفي لان يكون قد ثبت طيهِ النبات وان يكون قد تقدم وشاخ وكما نعلمهُ عن احوالهِ الطبيعية يشير الى امكانية وجود النبات والحيوان فيهِ في اسمى درجات الارتقاء وليس ثمة ما يعارض هذا الرأي . وكما ان الحياة ابتدأت على ارضنا في البحار حسب اعتقاد الفريق الاكبر من العلماء وبما ان آثار البحار موجودة على سطح المريخ فلا يبعد انها ابتدأت هناك في البحار ايضاً

وبما انهُ يستحيل رؤية الحيوانات على سطح ذلك السيار لبعد المسافة يتجه بحثنا الى جهة أخرى لاقامة الدليل على وجودها فلو تصورنا بشراً مثلنا يقطنون عالماً بُعدهُ عن ارضنا الى حدٍ لا يمكنهم من رؤية اكبر الحيوانات لكنهم يستطيعون ان يبصروا الغابات الكثيفة والمروج الفسيحة والصحاري الواسعة والابحر وما شاكلها من مجتمعات المياه فهم والحالة هذه لا يدرون بوجود مخلوقات حية ما لم تكن تلك المخلوقات قد احدثت ما غيَّر طبيعة وجه الارض في بعض اقسامها كبناء المدن الكبيرة وحفر الترع وغيرها من الاعمال التي هي دليل التمدن وعنوان التقدم لانهُ كلما تقدم الانسان في الحضارة زاد تأثيرهُ في ما يحيط بهِ فيغير وجه الارض بانشاء الطرق وسكك الحديد وقطر الكهربائية وإقامة المعامل والمصانع وفقاً لناموس النشوء والارتقاء الذي يتطلب حفظ النوع وتكاثرهُ وانتشارهُ وبقدر ما يغير من وجه البسيطة ويحول من الحالة الطبيعية الى الصناعية . وبسمو الاتقان والدقة ومقدار الفخامة والعظمة التي تتصف بها اعمالهُ يقاس تقدمهُ وارتقاؤهُ . هذه هي حالتنا مع المريخ فالآثار الصناعية التي نرى سطحهُ مرسماً بها اكبر دليل واقوى برهان على وجود مخلوقات حية

وعقول راقية احكمت تنظيمها بطرق تسمو على ادراكنا

اما كون الترع صناعية لا طبيعية فهي حقيقة تجلي لكل عاقل منصف وسبب انشائها قلة المياه على سطح السيار وانحصارها في ثلوج القطبين ولذلك اضطر السكان لقيام حياتهم الى جرها والاحتفاظ بها والانتفاع منها اذ بدونها لا يعيش مخلوق وهذه الترع كما ذكرتُ سابقاً اقواس دوائر كبيرة لانها اقصر خط يصل نقطتين على سطح الكرة والنقط او الواحات مستديرة الشكل لان محيط الدائرة اقصر خط يحيط بمساحة معينة وكل مظاهر الترع والواحات تدل على انها وجدت لمقاصد خاصة دعت اليها الحاجة وما تلك الحاجة الا جر المياه الثلج الذائب الى البقع المأهولة بالسكان لسقيام وري ارضهم ومما يثبت انها صناعيةٌ كون الماء يأتي في جميعها الى خط الاستواء و يتعداهُ الى الجهة الثانية وذلك عكس القوانين الطبيعيَّة الخاصة

يظهر من جميع ما ذكر ومما يمكن الاستدلال عليهِ بقياس التمثيل ان المريخ مأهول بخلائق حية تحوفيهِ وتتوالد على حد ما في الارض لان عناصر الحياة ومعداتها متوفرة. واهم اعتراض على هذا الرأي ان ذلك السيار ابرد من الارض وجوهُ خفيف ورقيق وكمية الحرارة الواصلة اليهِ من الشمس قليلة لا تكفي لقيام الحياة ولكن اكثر القواعد التي بنوا احكامهم عليها قد انسدها العلم الصحيح وخلاصة نتيجة الابحاث الطبيعيَّة في الوقت الحاضر تشير الى ان حرارتهُ في الغالب اعلى من درجة الصفر قليلاً لكثرة بخار الماء المنتشر في جوّهِ وما فيهِ من القوة على ادخار الحرارة فضلاً عن المبدإ الذي عرف حديثاً وهو ان حياة النبات والحيوان تتوقف على معظم الحرارة وليس على اقلها

واذا صح وثبت ان الترع هي من اعمال الصناعة فلا شك ان هنالك مخلوقات عاقلة ارقى من الانسان عقلاً واكمل ادراكاً لما نعهدهُ عن الدقة والاتقان التي تتصف بها تلك الترع وتنظيم انتشارها بحيث انها تمر في اهم نقط سطح السيار وتتوزع الى كل جهاتهِ على السواء اما القوة التي صرفت لحفرها فما يعجز عنهُ البشر وما هي سوى دليل اتحادهم للنفع والخير العام وتعاونهم كفرد واحد لدرء المصايب ومقاومة الطبيعة التي كادت تقضي عليهم ولو لا ذلك الاتحاد لبادوا منذ قرون عديدة حين نضبت وغارت مياههم ولكن يظهر انهم استطاعوا ان يكيفوا ذواتهم للظروف والاحوال فسلموا طبقاً لناموس الارتقاء الذي يكون مع تقادم الزمن كما هو معروف عندنا. وبما ان المريخ اقدم من الارض بالوف السنين و باعتبار صغر حجمهِ كان ولا بد اسرع برداً منها فلا غرو ان يكون سكانهُ ارقى من سكان الارض واقرب الى الكمال

هذا ما استطعت ان آتيكم به هذه الليلة مما عرف عن ذلك السيار العجيب الغريب وقد تحريت في جميع ما قلتهُ ذكر آراء الاستاذ نزل ومن نفسهِ لهُ غير متعرض للآراء الفريق الآخر ولكن ذلك لا يعني اني اعتقد بصدقها بل اقتطفتها وتلوتها على مسامعكم لما فيها من اللذة والتفكهة ولانها خير ما يعلل به عن الرسوم الغريبة الشكل التي يراها الراصدون واقرب مثال نُتشى عليهِ ارضنا في المستقبل البعيد

منصور حنا جرداق
نائب استاذ الرياضيات
في المدرسة الكلية ببيروت

دير مار مارون

ذكرت في مقالتي الماضية خلاصة ما يعلم عن مدينة الرسثن القديمة وآثارها وقد رأيت الآن ان اذكر ما وقفت عليهِ عن دير مار مارون الذي كان في هذه المدينة او في ما يجاورها خلافاً لما يدَّعيهِ البعض فاقول

يغلب على الظن ان دير مار مارون القديم كان في الرسثن . قال السيد بولس مسعد بطريرك الموارنة في كتابهِ الدر المنظوم وجه ١٣١ "فدير القديس مارون الذي كان هؤلاء الرهبان تلامذتهُ منفردين فيهِ هو بين حمص وابامیا (حماه) ... وذلك بموجب اقرار يرجر نفسهِ وحذاء نهر العاصي في موقع مدينة الرسثن التي هي الآن خراب" . وقال المؤلف المذكور في الكتاب نفسهِ صفحة ١٣١ : "لان هذا الدير الذي كان يحوي ثمانمائة راهب ويسمَّى دير البلور لجمال بنائهِ ودير سورية ايضاً لان لهُ الرئاسة على اديرة بلاد سورية الثانية بأسرها . وهو غير الدير الواقع بالقرب من مخرج العاصي الذي يسميهِ ابو الفداء منارة الراهب"

ويشهد على شهرة هذا الدير كلام المسعودي حيث قال : "ودير مارون بنيان عظيم حولهُ اكثر من ثلاثمائة صومعة فيها رهبان . وكان فيهِ من آلات الذهب والفضة والجوهر شيء عظيم . تخرب هذا الدير وما حولهُ من الصوامع بتواتر الفتن"

وجاء في تاريخ سعيد بن بطريق اي كتابهِ نظم الجوهر (طبعة اكسفرد سنة ١٦٥٨) وجه ٣٣٨ ما يأتي

"وفي تسع سنين من ملك هرقل وفي السنة التاسعة من الهجرة خرج هرقل من

القسطنطينية يريد بيت المقدس لينظر ما اخربت الفرس فيها . فلما وافى حمص لم يقبلهُ اهلها وخرج اليهِ الرهبان الذين في دير مارون فاستقبلوهُ وكان هرقل مارونيًّا فاعطاهم مالاً كثيرًا واعطى للدير ضياعًا وقرًى . ثم خرج الى دمشق[1] "

فيستدل من ذلك ان الملك هرقل لم يدخل حمص بل عاد الى الوسطى التي هي في جوارها فاستقبلهُ رهبان دير مارون ورحبوا بهِ واكرموهُ . ونزيد على شهادة سعيد بن بطريق ما قرأناهُ في مخطوط قديم وجدناهُ في مكتبة احد الاديرة في جبل لبنان لابن العميد المؤرخ الشهير الذي اعتمد عليهِ كثير من مؤرخي الافرنج المدققين ويعرف عندهم باسم المكين[2] قال :

" وفي السنة التاسعة من ملك هرقل خرج من القسطنطينية ليجمع الاموال من سائر المملكة ويتفقد احوالها . فلما وصل الى حماه طلع الى دير مارون وصلى فيهِ لانهُ كان مارونيًّا واعطاهم مالاً عظيمًا لاجل عمارة الدير وارتحل . فلما وصل الى دمشق احضر النائب عليها وهو منصور بن سرجون الدمشقي وطالبهُ بالاموال فذكر انهُ كان يحملها الى كسرى فعاقبهُ الى ان استخلص منهُ ثلاثة آلاف دينار واستمر على عملهِ وارتحل الى بيت المقدس "

---

(١) انما انبنا بهذه الشهادة لمطابقتها رأي السيد بولس مسعد في موقع دير القديس مارون القديم

(٢) ان هذا الكتاب مخطوط بالكرشوني قطع ربع ٢٥ × ١٨ ويقرأ في المقدمة ما يأتي

(بسم الله الرحمن الرحيم : يبتدئ بعون الله تعالى وحسن توفيقهِ لكتب كتاب مجموع مبارك جمعهُ واختصرهُ الشيخ الفاضل جرجس ابن ابي الياس ابن ابي المكارم ابن ابي الطيب عرف بابن العميد (والاصح ابن العميد والغلط من الناسخ) نفع الله تعالى نفسهُ آمين)

ويذكر في مقدمتهِ انهُ يتضمن (من اخبار العالم وتاريخ الدنيا وما فيها (هكذا) واخبارها ومدائنها وحال مكان الاقاليم وما كان في كل اقليم من الينابع والانهار الخ)

وتواريخ هذا الكتاب متصلة الى ملك هرقل — ومعلوم ان الكتاب المطبوع لابن العميد يبتدئ من هرقل فيكون هذا الكتاب هو الجزء الاول من تاريخهِ وهو غير معروف الى الآن

ثم قرأنا اسم الناسخ في آخرهِ هكذا : (وكان الفراغ من هذا الكتاب نهار الاربعاء تاسع عشر يوم من شهر آب المبارك سنة ١٩٢٩ يونانية يد احقر الناس واردهم (هكذا) نعمه باسم قسيس ابن قس يشوع الماروني)

ثم حاشية ثانية بالكرشوني هكذا : تجدَّد ونقل هذا كتاب التواريخ في قرية خراج من يد الخوري قس حنا الكفروني في سنة الفين وسبعين يونانية ... الخ ثم في آخر الكتاب حاشية كتبت بالحرف العربي

الخط يبقى زمانًا بعد كاتبهِ وكاتب الخط تحت الارض مدفونُ

حرر في ١٤ كانون سنة ١٨١١ وأكيم الخازن

وقد ذكر السائح بوكوك الانكليزي في كتابهِ الجزء الثاني وجه ٢٠٨ من النسخة المترجمة الى الالمانية المطبوعة سنة ١٧٥٤ انهُ مرورو في قرية الرستن شرقي العاصي رأى في جوارها اخربة دير عظيم جدًّا وعمدًا وقواعد عمد شتى

فهذه شهادات جلية قاطعة على ان دير مار مارون كان على ضفة العاصي بالقرب من حماة ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب توما الكترطابي الذي كان عائشًا في القرن الحادي عشر . قال في الصفحة ١٤٦ من كتاب مجادلة الموارنة مع الملكية في الصحف الواتيكاني السرياني عدد ١٤٦ ما نصهُ

" وكان في ذلك العصر ماسك كرسي المملكة مرقيان واخوهُ ... ثم امرهم (مكسيماس) ان يكتبوا مناشير الى بلاد الشام كي انهم يعتقدوا مقالة المشيئتين التي قالها مكسيماس . فلما انتهت كتبهم الى سورية والشام وبلد حلب ودمشق وجبل لبنان وحمص وحماه الى جميع السريان ... حينئذٍ قال اهل الشام نحن راجعون الى حكم دير ماران دير السريان الذي تأويلهُ دير الرب . لان هذا الدير كان على شط العاصي خارج مدينة حماة وكانت جملة رهبانهِ ثمانمائة راهب قديسين اه "(١)

وبما انهُ لا يوجد دير تكلم عنهُ اهل الجغرافية في جوار حمص وحماة سوى في الرستن فيستنتج من كل ما ذكرناهُ ان موقع هذا الدير الشهير كان في هذه المدينة او في جوارها والله اعلم

يوسف اليان سركيس

[المقتطف] نشرنا هذه المقالة عن دير مار مارون والتي قبلها عن الرستن لان بحثهما جغرافي تاريخي ولا شأن لنا ولا للكاتب في التعرض للمسألة الدينية المذهبية . وعسى ان تهتم الحكومة السنية او بعض اهل البحث بتنقيب هذين الاثرين لاكتشاف ما في انقاضهما من الدلائل التاريخية لان تاريخ مدائن الشام بين زمن الفتح والزمن الحاضر يحتاج الى بحث كثير وتنقيب دقيق

(١) من كتاب جامع الحجج الراهنة للطران يوسف داود في الفصل الثالث من الباب الثاني

الاسماء

اطلقت الاسماء في كل امة بلغتها على الاشياء والاشخاص تعريفاً لاعيانها وتفرقةً بين الشيء الواحد والآخر فتراهم سموا الشجرة باسمها ليميزوها عما سموهُ نهرًا . وعلى هذا المنهاج جعلوا يسمون الاشخاص باسماء ينفرد كل فردٍ منهم باسمهِ فيمتاز بهِ عن سواهُ

وفي المجتمعات الاولى كان عدد الافراد قليلاً فيخال ان الاسماء الموضوعة لافرادها من الذكور والاناث كانت يومئذٍ كافية لهم ولكنهم لما تناسلوا فازدادوا عددًا لم يبقَ لكل فردٍ اسم يستقل بهِ فيعرف متى ذكر اسمهُ فاضطروا ان يزيدوا الاشخاص تعريفاً بنسبة الفرد الى اسم ابيهِ . ففي الحالة الاولى يكتفى لمعرفة زيد بمجرد ذكر اسمهِ لان المجتمع صغير وليس فيهِ زيدٌ آخر بخلاف الحالة الثانية حين تعذرت الاسماء عن الاشخاص فنشأ زيدٌ ثانٍ وربما ثالث ورابع فصاروا يعرّفون زيدًا بنسبتهِ الى ابيهِ عبيد والآخر الى ابيهِ خالد وهلمَّ جرًّا

لكن المجتمعات متى كثر افرادها واتسعت واضطرت الى استكثار المنافع والمرافق تختار التجزؤ وتنفصل منها عيال واتخاذ وتبتعد عن مواطنها الاولى الى مواطن اخرى . فيبقى منهاج التسمية جاريًا ولكن قد تبقى الصلة بين المنفصلين ويضطر كل فريق الى اتخاذ الاسماء المألوفة تتعدد ولا يؤمن وقوع اللبس بين الاشخاص المتشابهين اسمًا ولو اختلفوا دارًا الاَّ بما يميزهم ولذلك صاروا يزيدونهم تعريفاً بنسبتهم الى مواطنهم

الاَّ ان هذه القواعد التي يخال ان الناس جروا عليها في بدء امرهم لم تكن تخلو من الشواذ كأن يكون الشخص معرّفًا بصفاتهِ واعمالهِ فاذا ذكر اسمهُ مجردًا عُرف

كل هذا لم يذكر في نصٍّ تاريخي او كتابةٍ اثرية ولكنا نظنهُ واقعيًّا بحكم التمثيل . الا ترى ان العائلة الواحدة عند بدء نشأتها وقلة افرادها يمتاز آحادها باسمائهم ولكنها متى كثر عديدها وتشعبت فروعها يضطر الآباء الى تسمية صغارهم بالاسماء المألوفة في اسرتهم ولمزيد التعريف يعرف المسمى باضافتهِ الى اسم ابيهِ . فاذا كان هذا حال ابناء العيال في يومنا هذا ونحن مقتدرون على استمارة اسماء جمة من لغاتٍ شتى فما القول بابناء المجتمعات الاولى المقتصرين على الاسماء التي يعرفونها

واما نسبة الافراد لاوطانهم فلعلها تستنتج ايضاً من التمثيل اذ نرى في بعض القرى والمزارع حتى في المدن الحافلة كثيرين ينسبون الى اوطانهم

ولا نعدم دليلاً تاريخيًّا على بعض ما خمنا الاَّ في بدء انتظام المجتمعات لان النصوص

والآثار قاصرة على الكلام في الاسم ذات الشأن ولا شأن لغير الراقين . وانا نرى الكتابات الاثرية تروي عن المجتمعات الراقية ما يدل على ان الاسماء كانت تعرَّف اما بالنسبة الى الاب او ببيان آخر . فقد اتصل بنا من آثار الاسرة السادسة المصرية (في القرن الثامن والثلاثين قبل المسيح على رأي مريت) كتابة لرجل من عظماء المصريين اسمهُ اوني لم يذكر فيها اسم ابيهِ ولكن ذكرت وظائفهُ وحظوتهُ لدى الملك اوناس . ومثل هذا نرى كتابة سينهويت احد عظماء مصر في زمن الدولة الثانية عشرة وفي اواسط القرن التاسع والعشرين ق . م) تذكر اسم صاحبها ووظائفهُ من غير ذكر ابيهِ مع انها نوَّهت بانهُ من انسباء مزبني الملك

فذكر اسمي هذين العظيمين مجردين عن النسبة لا يطعن في ما ضمناهُ من المنهج القديم لانهُ قد يمكن ان يكون اسماهما من الشهرة الراسمة بحيث يستغني بذكرهِ عن الانتساب او ان ذكر وظائفهما السامية كفاهما في التعريف مؤنة المزيد

و يظهر من الآثار الكتابية التي وجدت في تلوح من بين النهرين ويحسب زمانها واقعاً بين عصريّ الدولتين السادسة والحادية عشرة من الدول المصرية ان الاسماء تذكر فيها تارةً منسوبةً وطوراً مجرَّدة اعتبر ذلك بما ورد في صدر احداها المفتتحة باسم " نيناور ملك شيربورلا ابن نيني غال جين " وفي صدر الاخرى " اوروكاجينا ملك شيربورلا "

و يغلب في هذه الكتابات المكتشفة في تلوح ذكر الملوك والاحبار من غير انتساب بل يكتفى بمناسبهم ومثل ذلك في المراسلات التي دارت بين قراعنة مصر وعمالهم في فلسطين قبل زمن خروج بني اسرائيل مما يعرف بمكتشفات تل العمارنة ان اصحاب تلك الرسائل يذكرون اسماءهم المجرَّدة حتى انهم بمخاطبة الملوك لا يسمونهم وانما تجدهم في بعض رسائلهم يقولون هكذا : الى الملك سيدي آلهتي (بالجمع) الهي الشمس الخ . وفي غيرها الى سيدي الملك . ويكتفون بذلك الا ان في بعض الرسائل تخصيصاً اذ يقولون الى ملك مصر سيدي

فكأن مقام الملك وشهرتهُ تغنيان مراسليهِ عن الافصاح في تسميتهِ وعلى هذا الطرز يستغنون عن مزيد التعريف في مخاطبة العظماء فترى بين رسائل تل العمارنة رسالة من عزرو الى ابيهِ دودو من كبراء موظفي مصر يقول فيها الى دودو سيدي وابي انكلم انا عزرو ابنك وعبدك الخ

واذا عرض في تلك الرسائل ذكر ثالث فاما انهُ يذكر اسمهُ مجرداً كعبد طوب وملك عريل وغيرهما واما يُنسب الى ابيهِ كنكي بن ماراتيم او يُعرف بوظيفتهِ كنكوني البواب

واما عند العرب فمعلوم ما كانوا عليهِ في الجاهلية من سكنى البادية قبائل وافخاذاً . وقد

اتصل بنا من اخبار مجتمعاتهم نزر قليل يدل على ان الاسماء التي كان يعرف بها الاشخاص قليلة العدد وانها كانت منتشرة بين كل القبائل يتسم بكل اسم منها جماعة ولكن الميزة بين المعرّفين بالاسم الواحد لم تكن ميسورة الاّ بنسبة كل منهم الى ابيهِ وجدهِ بل قد تطول بواحدهم سلسلة الانتساب الى ثلاثة او اربعة من الجدود ثم تنتهي بالانتساب الى القبيلة . ومما ذكر ابو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين ان قس بن ساعدة كان اول من كتب الى فلان بن فلان . الاّ ان هذه الرواية لا تحملنا على الظن بان العرب كانوا يكتفون قبل زمنهِ بالاسم المجرّد لان زمن قيس بن ساعدة حديث وكانوا ينتسبون قبلهُ

ثم ان العرب في جاهليتهم كانوا يعرفون بالانتساب الى قبائلهم كأن يُقال قس بن ساعدة الايادي واية ابن ابي الصلت الثقفي وامثالهما. فلما جاء الاسلام ظلت النسبة للقبيل جارية في صدرهِ ثم تنقص ظلها تدريجاً بما طرأ على الناس من الاستبعاد عن خصائص البداوة وانتهاج مناهج الاعاجم الذين خالطوهم ولم يبقَ محافظاً على النسبة العربية الاّ بعض الافراد من الاشراف الذين يفتخرون بالانتساب لقريش او لبعض القبائل المشهورة او الاماكن المقدسة . الاّ ان الاحتفاظ بالانساب على طولها كان تاماً في التدوين والكتابة بخلاف الحال في المعاملات البوميّة

ومما يعرف بهِ العرب ورجالهم الكنية وهي ان يقال فلان ابو فلان ومثل ذلك ان يقال ابن فلان وقد امتدّ بهم زمن هذا الانتساب اجلاً طويلاً من عصر الجاهلية حتى تجوزوه الممالك الاسلامية واختلاط اهاليها بالترك والبربر والافرنج . ومن امثلة الكنية ابو الطيب وابو العتاهية ومن امثلة الانتساب للاباء ابن خلدون وابن زيدون

ولقد بحث بعض كتبة العصر في الاسماء نرأوا انهُ يغلب فيها ان تكون منذ اصلها قد وضعت للدلالة على معان تؤديها الفاظها . وان الاسماء القديمة التي اتصلت بنا ويظهر انها مرتجلة لا معنى لها ربما كان اكثرها بقية لغات بائدة او هي محرّفة عن الفاظ اخرى تحريفاً ابعدها عن المفهوم من اصلها . والاسماء المعروفة لهذا العهد من بقايا القدم تجدها عبرانية وتؤدي معاني مخصوصة . والاسفار المقدسة تظهر النسق العبراني في التسمية شبيهاً بنسق معظم القدماء من حيث الانتساب للاباء

وكأن الناس جروا على ذلك الطرز زمناً طويلاً حتى وقع لبعض الافراد ما ميزهم عن سواهم بما وسموا بهِ من وصف ارتجل في معرض مدح او ذم او بيان عمل او غير ذلك مما يعرض للانسان . فلحقهم ذلك الوسم وصار علامة فارقة لصاحبهِ يمتاز بهِ عن اقرانهِ . مثال

ذلك اصحاب الحرف والصناعات ورجال الحرب والقلم وخدمة الدين فانهم كلهم يتمازون بوصفهم من بين جمهور الناس ويوصف واحدهم بهذا الوصف ويعرف باللقب

واللقب على ما حدَّده العرب واحدٌ من ثلاثة تشريف وتعريف وتخفيف فاما التشريف فهو ما يتصف به الانسان مدحاً لشرفه او شجاعته او كرمه او غير ذلك من الصفات الآيلة لمجده . والتعريف ما يعرف به اصحاب الصناعات كالحداد والنجّاس والسيّاف وغيرهم . والتخفيف كالاعرج والالثغ وامثالها وهذا الثالث منهيٌّ عنهُ في شرع المسلمين الاَّ اذا ارتضاهُ المتصف به . ويقول اللغويون ان الاول يفيد رفعة والاخير ضعةً واما عند الافرنج فاللقب يتناول اسم الوطن ايضاً اذا لحق باسم الفرد كأن يقال زيد المصريّ لكلمة مصري تعتبر لقباً لزيد

وهذه الالقاب نشأت لتعريف بعض الافراد ولكنها في كثير من الاحوال لحقت باعقابهم من بعدهم لانها بتعريفها الآباء صارت لهم علماً فعرفوا بها هم انفسهم . الاَّ انها لم تكن في بادىء الامر مما جرى عند كثير من الامم على ما ظهر لنا من تواريخهم وآثارهم . بخلاف العرب فانهم ولئن كانوا على منهاج غيرهم فقد جرى عندهم اللقب شوطاً بعيداً واتسم به كثيرون منهم في جاهليتهم وصدر الاسلام ولكنهُ على الاكثر لم يتعدَّ اصحابهُ ليلحق باعقابهم

اما اليونان فالظاهر من شعر هوميروس انهم كانوا يعرّفون الفرد بنسبته الى ابيه وقد يدعون باسم امه اذا كان ذلك من مفاخره . ومنهاجهم هذا جرى معهم في كل مواطنهم حتى في ايطاليا مع ان بعض ارجائها التي لم تخضع لهم بل ظل الامر فيها للاتروسكان كان هؤلاء يعرّفون باسماء عيالهم . وهذه العيال اتسمت من قبل ذكرها في التاريخ باسما جعلتها اعلاماً وهي في اصلها اما اسماء افراد جعلت بمرور الايام اعلاماً للعيال واما القاب او نعوت صارت كذلك

ولما استفحل امر الرومان تابعوا الاتروسكان في منهاجهم واخذوا عنهم بعض القاب العيال كهوراتيوس وليفيوس ومرقص وسيفروس وامثالها . ولما انتظمت الشؤون الرومانية اصبحوا يقسمون سكان مدينتهم العاصمة الى اخلاف جمة يسمونها بلغتهم gentes وكل فخذ منها بقسمونهُ الى عيال فكنت تراهم اذا ارادوا تعريف فرد منهم ذكروا لهُ ثلاثة اسماء اسمهُ الشخصيّ واسم عائلتهِ واسم الفخذ المنسوبة اليه . كقولهم بوبليوس كورنيليوس شيبيو فبوبليوس اسم الرجل وكورنيليوس اسم فخذه وشيبيو اسم عائلته ومعنى شيبيو العصا وقد

سمي بها جدهُ كناية عن ان اباهُ كان اعمى وهو يبرُّ بهِ ويقودهُ وانما جعلوا لهذه التسمية لقب تشريف

والتلقيب كان على اتمّهِ عند الرومان فان قادة الجيوش الذين يستبسلون في القتال ويبلون في الاعداء بلاءً حسناً كانوا ينالون انعاماً من الندوة العليا ان يضيفوا الى اسمهم الملك لقبًا agnomen يكون في الغالب احسن ذكرى لظفرهم كما ترى في القاب كورليانوس وافريكانوس وجرمانيكوس

الاَّ ان سواد الامة الرومانية كان لا يخلو على بعض الناس بالقاب مصوغة من العيوب والصفات التي يرونها فيهم فتصبح الالقاب تعريفًا لحامليها يميزون بها كقولهم ليجر ومعناها الاسود وبارلوس وتعريبها الصغير وكالفوس ويراد بها الاصلع الى غير ذلك

اما اوربا فانها لما تنصّرت اضطرَّ سكانها ان يغيروا الاسماء القديمة ليخلعوا باطراحها كل اثر وثني وشرعوا يتحلون الاسماء الواردة في التوراة والانجيل . ولم تكن تلك الاسماء كافيةً لجماهير المتنصرين وكان القسوس يخلصون حفلات العماد (التعميد) ويعمدون الناس شراذم شراذم وتجنبًا لتسمية كل معمَّد باسم مخصوص كانوا يطلقون اسم يوحنا او بطرس او بولس على كل شرذمة عمدوها في وقت واحد فيلحق الاسم الجديد بكل فرد من افرادها . ولكن شيوع الاسم الواحد بين كثيرين يخرجهُ من بين الاعلام المميزة فاحتاجوا ان يعدلوا في التعريف الى القاب مستحدثة اتخذوها من حرفهم وصناعاتهم واعمالهم وغير ذلك . وقد شاعت عندهم هذه الالقاب والنعوت وقامت مقام الاعلام عصورًا متطاولة حتى امتد المجتمع الاوربي باصوله وفروعهِ وكثرت افرادهُ فاتخذوا الاسم العائلي فارقًا وصارت الافراد تنسب اليهِ

واختلف الباحثون في شيوع الالقاب بين الانكليز فذهب فريق الى انها لم تكن معروفةً قبل الفتح النورمندي وقال آخرون انها كانت تتخذ على قلة لان السبق الكسوني كان على الاكثر بنسبة الابن الى ابيهِ بحيث كانوا يقولون مثلاً اكبرت ادكارين فاليا والنون في آخر ادكارين يعبر عنها بالكسونية بالحروف ings وهي بمعنى ابن وتجدها في بعض الاسماء الحاضرة اثرًا لتلك التسمية كما تجد للصفات اثرًا في الالقاب بعد استعمالها . وثبوت هذه الالقاب واتصالها بالاعقاب لرثًا لم يجرِ الاَّ منذ القرن الحادي عشر . وكأنهُ اشتد سريعًا وتأصل في الطبقات العليا حتى حدث في منتصف القرن الثاني عشر ان الملك هنري الاول اراد ان يزوج ولدًا غير شرعيٍّ من بنيهِ فابت عروسهُ التزوج بهِ لانهُ لم يكن لهُ لقب

فانعم عليه ابوهُ بلقب Fitz-Roy اي ابن الملك وصار هذا اللقب يمنح لابنائه المتولد غير الشرعيين

وإنما بحثت في اسماء الاوربيين لما قدمت الشهد شواهدها تدل على شيء مما قدمنا

ومما يستلفت الانظار عند الاوربيين انهم يسمون الاسم الشخصي باسم العماد او الاسم المسيحي وهذا التخصيص يدل على اصل وضعهِ حينما تنصَّر الاوربيون افواجاً فضلاً عن ان الطفل المسيحي يطلق عليهِ اسمهُ حين عماده ولذلك سموا الاسم كما رأيت

بقي ان نلمح الى ما هو شائع عندهم من النسبة بالاضافة الى اسماء المدن والقرى والمزارع - وعلامة الاضافة عندهم of بالانكليزية و De بالفرنساوية و Von بالالمانية فحسبهم بعض الباحثين من نالي درجات النبالة وخالفهم غيرهم بان علامة الاضافة لا تدل على النبالة بل على كونهم من اهل المواضع المنسوبين اليها

واما شأن النبلاء فان نسبتهم لبعض المواقع تظهر بعلامة الاضافة وهذه تشير الى ان تلك المواضع خاضعة لسيادة النبيل اسمًا كما كانت من قبل اقطاعاً يسودها غيرهُ من النبلاء ومن زمن نظام الاقطاعات جرت عادة انتساب البلدان الى اصحابها او اشتهار النبلاء بسيادتهم فيها

وجرى المسلمون في التسمية على ما اخذوا عن العرب ثم اتصلوا بالاعاجم من فرس ويونان ورومان وقبط وارمن وغيرهم فاخذوا عنهم شيئاً . ولكن ظل المنهاج القديم غالباً فيهم وقتاً طويلاً ثم تجاروا غيرهم بالانتساب الى العيال والقبائل والبلاد على غير اطراد

واما الاتراك العثمانيون فان تقلُّب اسماء الافراد مع نسبتهم تارةً لاباتهم شاع استعمالهُ فيهم طويلاً ولكنهُ كاد يندرج الآن لان مناهجهم الحديث كاد يطمس على اسماء الآباء فضلاً عن العيال التي لم تبقَ النسبة اليها محفوظة الاَّ في صدور ابنائها . وانما يتخذ الاتراك اسمين اوهما من اسماء الانبياء او الصحابة والثاني يسمونهُ مخلصاً يتخذونهُ تارةً ولكنهُ ليس يفارق رسم الدائرة مكتوم فلا يعرف الانسان الاَّ باسم وظيفتهِ وعمل وجودهِ او ان كان لهُ من النظام تميز بالنسبة اليهِ فتقول مثلاً عمر زاده حسن افندي . ومن الغريب ان بعض المصريين والسوريين رغبوا في مشابهتهم وساروا على نهجهم حتى انك تجد اربعة اخوة احدهم يسمَّى محمد توفيق والثاني اسمعيل فتحي والثالث ابرهيم قدري والرابع علي فهمي وقد ضاع اسم العائلة الذي يجمعهم . الاَّ انهم قد اخذوا يعدلون عن ذلك الآن ويعودون الى اسماء عائلاتهم

ر . ن

الفلسفة عند اليهود

ان حكماء الامة الاسرائيلية انصرفوا خلال عصورها الاولى الى الانذار والتعليم بمعرفة الله تعالى والقول بوحدانيته وخلقه الكائنات كلها ولم يذهبوا الى ما وراء ذلك من البحث في صفات الخالق وحقيقة النفس وما اشبه من النظريات التي ملأت كتب الهند واليونان وكل امة كان لها من الفلسفة نصيب وافر اي انهم وقفوا عند حد الايمان المطلق غير مستمر الى الابحاث العلمية ولا متبع طريقة فلسفية

الا انهم في الاحايين كانوا يحومون حول المباحث النظرية ولكنهم لم يكرثوا ليدخلوها من ابوابها سالكين اليها طريق الدليل والبرهان بل كانوا يقولون بالرأي ويدعمونه عوض البرهان بالاستناد الى الوحي . مثال ذلك مسألة الخير والشر فانهم قالوا ان الله تعالى خير مطلق ولا يصدر عنه الا الخير واستدلوا على ذلك بما ورد في الكتاب من ان الله كان اذا خلق شيئاً رآه حسناً . واذا اشكل عليهم حل مسألة الشر وخافوا ان يقودهم الكلام فيه الى الوقوع في الخطإ قالوا ان الشر من صنعة البشر يتولد من انتصار المبدإ المادي على المبدإ العقلي ولما كان الانسان حرًّا في اعماله وارادته صار من الواجب عليه ان يجعل اعماله منطبقة على مبدإ الخير انساعي لئلا تغلبه المادة فيصير عبداً للشر . وهذا القول يرتبط ارتباطاً قوياً بالمبدإ القائل بحرية الارادة الذي هو من المبادىء الاساسية في العقائد الموسوية على ما يؤخذ من سفر التثنية حيث قيل انظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر

وسار حكماء اليهود على سبل الكثير من حكماء الشرق في تمثيل الحكمة في الشكل الشعري او بما يقرب من نوعه من الامثال والاحاجي لاسيما وانهم كانوا اذا اقتربوا من النظريات الفلسفية المحضة ارجعوها الى دائرة الدين وجعلوا الحكم فيها فوق مدارك العقل اخيراً بما ورد في سفر ايوب من اجتماع الحكماء ومناظرتهم في مسألة العناية الالهية والقدر كيف ظهر الله في عاصفة لايوب واظهر له قصر المدارك البشرية عن ادراك اسرار الطبيعة ووجوب خضوع الانسان لله والتسليم لارادته الى غير ذلك مما يذهب بالقضايا الفلسفية الى الوجهة الدينية . على ان الجلاء البابلي ادّى الى اختلاط اليهود بغاليهم والاطلاع على حكمتهم وحكمة الفرس مجاوريهم ولا بدّ لهذا الاختلاط من ان ينقل شيئاً من تمدن الكلدان والفرس الى عقائد اليهود وعاداتهم لما يحدث المحيط الكبير عادةً في النسمة الصغرى من التغيير والتكييف في اخلاقها وعاداتها وعقائدها وسائر شؤونها الاجتماعية لاسيما وان اليهود لم يروا في معتقدات

غالبيهم ما يدعو الى النفرة والاشمئزاز فانفرس على ما شذ من كتابهم الديني التدافعوا تالوا بالوحدانية وان لم تكن مطلقة وشابهوا اليهود من حيث الكراهة الوثنية فحدث بهم تلك المشابهة الى التدرب والامتزاج

الاّ ان الفرس انفسهم لم يبلغوا الشأو العظيم من الفلسفة بحيث يتصل من فيضها باليهود ما يكفي لادخال الابحاث النظرية في كتاباتهم . يؤيد ذلك خلو الاسفار المكتوبة بعد الجلاء من روح الحكمة والكلام فيما وراء الطبيعة وبقاؤها من هذه الوجهة على ما كانت عليه قبل الجلاء . ولما تسوّد اليونان سوريا وانتشرت فيها معارفهم وآدابهم الفلسفية ثارت في اليهود الرغبة في طلب العلم وارتياد الفلسفة اعلاء لقدرهم في عيون الفاتحين الذين كانوا يزدرون بعوائدهم ويمتهنون آدابهم لذلك عدل اليهود الى الكتب المقدسة فشرحوها واسهبوا في تفسير غوامضها مدخلين اليها شيئاً من الآراء الفلسفية اليونانية التي كانت لذلك العهد زاهرة في الاسكندرية

وقد ذكر لنا التاريخ اسماء كثيرين من علماء اليهود الذين اشتهروا في الفلسفة وساروا فيها شوطاً بعيداً وفسروا النصوص الكتابية بالاراء الفلسفية اليونانية تفسيراً دلّ على تضلعهم من آراء افلاطون وفيثاغورس وغيرهما من الحكماء السابقين . ومما يذكر ان الذين تنوقوا في دراسة الفلسفة المنتخبة Eclectique من اليهود غالوا في التفاخر بعقائدهم والقول بانها مصدر الفلسفة في العالم وان فيثاغورس وافلاطون وارسطوطاليس وغيرهم من اقطاب العلم مروا في تطوافهم على بلاد اسرائيل واخذوا عن حكمائها الاقدمين العلم والحكمة

واما يهود فلسطين فظلوا على طاعة البطالسة ملوك مصر حوالي مئة سنة اقتبسوا في خلالها شيئاً كثيراً من الفنون والمعارف اليونانية حتى اذا استحوذ السلوقيون ملوك سوريا على فلسطين كان معظم اليهود قد اخذوا التمدن اليوناني واقتبسوا من ارائه ما كاد يضر بالديانة الاسرائيلية لولا النهضة التي حدثت على عهد المكابيين ومع ذلك ظلّ المنطق اليوناني الغاية التي يرمي اليها عقلاء اليهود والحلبة التي تتجارى في مضمارها سوابق همهم

يومئذٍ نبغ في فلسطين فرقتان الفريسية والصدوقية فاحداهما الفريسية كانت تقبل كل العقائد والمبادىء والطقوس التي كرّ عليها الدهر وصارت مقدسة بحكم الزمن وشرعت تدعي القدامة والمصدر الالهي وان ما اتصل بها كان تقليداً شفاهياً من الاباء والجدود . ويذهب البعض ان تعاليم هذه الفرقة مأخوذ معظمها عن تعاليم الكلدان والفرس . وكيف كان الامر فان لشرعتها في التفسير يداً في احياء اللغة والاداب العبرانية وفي انهاض العقول النيرة

الى خوض المباحث اللاهوتية والنظريات الفلسفية

اما الفرقة الثانية وهي الصدوقية فلم تغل بالتقليد الشفاهي ويكن مبدأ لم يكن معروفاً في اسفار موسى فجردوا بذلك العقائد الموسوية مما يمكن ان يضاف اليها من الزوائد وتوسعوا في الاحتفاظ حتى انكروا خلود النفس ومداخلة العناية الالهية في اعمال البشر زاعمين ان هذه المداخلة تنافي القول بان الانسان فاعل مختار

وقد نبغ من الفريسيين قوم يصح تسميتهم بالحكماء العاملين وكان مذهبهم القول بالمبادىء والرسوم والاداب الفريسية ولم يقفوا وقوف الفريسيين عند حد القول وانما قرنوه بالعمل بالزهد والعفة والتقشف حتى علق بهم عامة الناس واحلوهم المكان الرفيع من التجلة والاكرام. ولا غرو فالعامة تأخذهم الظواهر في كل زمان ومكان

وعرف رجال هذه الفئة بالاسينيين تسمية ربما كانت مشتقة من الكلمة السريانية اسايا بمعنى أساة اي اطباء وقد ذهب البعض ان الاسينيين فرع من الجمعية اليهودية المصرية المسماة بالثيرابيون على ان الذين بحثوا في سنن هذه الفرقة لم يروا بينها وبين الاسينية مشابهة كبرى تجعل الصلة قوية وان المصرية كانت تختار العزلة والعفاف والتأملات والاسينية لم ترتض الانفراد بل حسبت اتباع الفضيلة واعمل بها بين الناس اجزل فائدة للجتمع لاسيما وان فيلون هو المرجع فيما يقال عن هاتين الفرقتين وقد كتب عنهما مطولاً ومع ذلك لم يذكر من امر الصدوقيا شيئاً

وقد قيل ان الاسينية كانت تمتاز عن سواها من الفرق اليهودية بحب اعضائها بعضهم لبعض حباً شديداً وانها كانت تستكنف الملاذ وتحسب امتلاك هوى النفس وغلبة الشهوات فضيلة كبرى وتأبى الزواج لكنها تختار اتجباء من صغار اولاد الآخرين وتقدم على تربيتهم وانشائهم على مناهجها ومع هذا لا يكرون على الناس فائدة الزواج بايلاد البنين حفظاً للنسل وانما يحترسون من مسلك النساء لاعتقادهم انهن لا يحفظن الامانة للرجل. وكانوا يحتقرون الغنى ويعيشون بالاشتراك فلا تجد واحداً منهم يملك اكثر مما يملك الآخر واذا اراد واحد من الناس الدخول في معالمهم فكان عليه ان يجعل كل ما ملكت يداه مشتركاً بين الجماعة وبهذا لا تجد بينهم ظاهر الفقر الناشيء او الغنى الطائل بل كانت ثروة كل واحد منهم كأنها ثروة الجميع وهم قيمون على مصالحهم العامة ولا يسوغ لواحد منهم ان ينظر في مصالحه الخاصة وانما ينظر في ما يعود نفعه على مصلحة الجمهور الى غير ذلك من ضروب العيشة الاشتراكية التي يضيق بنا المقام عن اشباع الكلام فيها

وغاية ما يقال عن الفلسفة اليهودية انها جمعت بين الافكار الشرقية والغربية وبعبارة اوضح انها كانت الحلقة المتوسطة التي بها اتصلت الابحاث النظرية الشرقية بالفلسفة الغربية. وقد قام اليهود بهذا العمل الاتصالي غير مرة في ازمنة مختلفة من التاريخ

وفي العصور الاولى من الزمن المسيحي اسرف نواب قياصرة الروم في ظلم اليهود واعنائهم حتى لجأوا الى العصيان وكانت الحرب بينهم هائلة دوّخ الرومان في خضوعها بلاد فلسطين وحصروا اورشليم سنة ٧٠ م. ثم دخلوها عنوةً ونكّلوا باهلها تنكيلاً شنيعاً ولم يطل الامر حتى خرج اليهود عن طاعة الرومان ثانيةً ايام ادريانوس سنة ١٣٥ م فاعمل بهم السيف وفرّق شملهم فتشتتوا في انحاء الارض . يومئذ علم اليهود انهُ يستحيل عليهم اتخاذ اورشليم عاصمة دينية لذلك اتجهت خواطرهم الى جمع كلمتهم تحت لواء الدين وتعزيز الوحدة الدينية باحياء وتدوين التعاليم السماعية ضمن كتاب فوضع البقية الباقية من علماء كهانهم في اورشليم كتاباً سموهُ المشنه وهو متن التلمود فكان ضميمة على اسفارهم القديمة ثم توالى على مدارسهم القرنان الرابع والخامس وفي تضاعيفهما من حملات التعصب الذميم ما ادى باليهودية الى الخراب وادى الى توسيع مجموعة المشنه فوضعوا الجمارة وهي شرح المشنه ثم توسعوا في الجمارة فالفوا التلمود واودعوهُ مجموع تعاليمهم من مفاد منقول المعتقد ومنزل الاسفار فكان خلاصة كتبهم الدينية وخزانة شرائعهم وعلومهم

ولقد مرّت القرون الاولى من التاريخ المسيحي على اليهود وهم بعيدون عن المباحث الفلسفية والاشتغال بالعلم يؤيد هذا القول خلو المشنه والتلمود من الابحاث النظرية والكلام فيما وراء الطبيعة الا ان قومًا منهم انفوا البقاء تحت النير الروماني يقاسون جور التعصب واعتساف دعاتهِ فغادروا بلاد العرب قبل الاسلام واستوطنوها وتوفرت بينهم وبين الاهلين اسباب الائتلاف لما بينهم من التشابه في اللغة والتقارب في الجنس وعدم وجود دولة سيفية العرب جامعة تفرق بين الاصيل والدخيل

ولما جاء الاسلام وامتدت فتوحاتهُ الى شرق الارض وغربها لم تكن وطأتهُ ثقيلة على اليهود الذين كانوا ناقمين من جور الرومان والفرس فرحبوا بالفاتحين وانتعشت ارواحهم وتجددت قواهم وانصرفت جماعة منهم للاشتغال بالعلم والادب. ومما زادهم رغبةً في ذلك اقبال بعض الخلفاء عليهم كما اقبلوا على علماء النصارى فنبغ منهم عدد من العلماء والاطباء وازداد عدد نابغيهم في الدولة العباسية واشتهر منهم كثيرون كسعدية بن يوسف الفيومي المعروف عند العرب بسعيد بن يعقوب الفيومي وشموئيل بن حفني وغيرهم كثير من رجال العلم والادب

وفي سنة ٧٦٥ م ايام الخليفة العباسي جعفر ابي منصور ظهرت فرقة جديدة في بابل انشأها عنان بن داود وتعرف بالقرائين كانت غايتها التخلص من تسود الربانية وتحرير اليهود من نير التقليد واتباع احكام العقل والعمل بالامتحان لا بالاستناد الى فلان او فلان وبما ورد في النصوص المقدسة لا بالسنن الموضوعة في المشنة ومع هذا لم يحذ زعيم القرائين عنان بن داود حذو العدوتيين القدماء الذين قالوا بوجوب تبذ كل تفسير وتقليد وانما قال بوجوب تطبيق كل التفاسير والتقاليد على احكام العقل وما كان منها لا ينطبق على احكامه انطباقاً تاماً لا يعمل به ولا يعوّل عليه وكأنه اراد بذلك الخروج من دائرة الايمان وهو التسليم المطلق الى دار الفلسفة حيث الدليل والبرهان

على ان الربانية واصحاب التلمود الذين لم يرضوا عن اعمال فرقة القرائين فحجروا على منوالهم واتبعوا سبلهم في ادعام العقائد الدينية بالادلة المستقاة من فلسفة تلك الايام وحسبك ان كبير علمائهم الذائع الصيت سعيد بن يعقوب الفيومي رئيس مدرسة سورا (بلدة قريبة من بغداد) محط رحال الربانية ومصدر قوتهم وضع كتاباً باللغة العربية في العقائد والافكار قال فيه بوجوب اتباع احكام العقل في العقائد وانه يحق للانسان فحص القضايا الدينية بل ان ذلك مطلوب منه وواجب عليه وان العقل الصحيح يرشد الانسان الى الحقائق التي يعلّمها الوحي ولكن الوحي وجد وكان وجوده ضرورياً لكي يوصل الانسان بسرعة الى ادراك تلك الحقائق التي لو تركت للعقل لاقتضى له حق يصل الى ادراكها عناء عظيم وزمن طويل

وحدث بعد موت سعدية بقليل ان ازدهرت الفلسفة العربية في الاندلس واتصلت شعلتها بيهود تلك البلاد فخرجوا عن السلطة الدينية سلطة مدرسة سورا وارادوا ان يستبدلوها بمدرسة جديدة يشيدونها بمدينة قرطبة ويعيدون بادارتها الى خيرة رجال العلم منهم حيث تلقن فيها انواع العلوم والفلسفة والفنون الادبية التي اهملها يهود المشرق

قامت هذه المدرسة في قرطبة وانّها طلاب العلم من كل فج عميق وكان يومئذ من علماء اليهود طبيب بارع مقرب من الخليفة عبد الرحمن الثالث فسعى الى تنمية المدرسة وتعظيم شأنها ولم يمض عليها الزمن الطويل حتى ذاعت شهرتها وعرف رجالها بالتفوق في العلم والادب ونبغ منها جماعة من اكابر اهل العلم انصرفوا الى درس الفلسفة المشائية ووضعوا فيها الكتب النفيسة التي لم تزل منها بقية في مكاتب اوربا شاهدة بما وصلوا اليه من العلم والحكمة

على ان منتهى فلاحهم وازدهارهم كان في ايام الدولة الامرية بالاندلس وفي بعض الممالك المجاورة له في اطراف اسبانيا من الممالك المسيحية واشهر فلاسفتهم فيها موسى بن ميمون

الذي ولد في قرطبة سنة ١١٣٥ م وبلغ شأنه في درس اللاهوت وسائر العلوم المعروفة يومئذ عند اليهود وكان يحضر ايضاً بعد ذلك على اساتذة العرب ويكب على الدرس والتحصيل حتى بلغ من الحكمة شأواً بعيداً وصيتاً ذائعاً فلقبوه بموسى الثاني وافلاطون اليهود وكان كل اجتهاده ان يوفق بين الفلسفة المشائية والاسفار المقدسة وان يحمل الطلبة على اخضاع ايحائهم لاحكام العقل. وفي ايامه كان انقراض الدولة الاموية بالاندلس وعلى اثر انقراضها اصابت الشدة اليهود ففرَّ الى مصر واتصل بصلاح الدين وصار طبيبهُ

وفي اواخر القرن الخامس عشر سنة ١٤٩٢ م طرد اليهود من بلاد اسبانيا فاضمحلت بطردهم الفلسفة اليهودية على ان اليهود كأمة او كجمعية دينية لم تشغل في تاريخ الفلسفة المكان الاول وانما كان لها المحل الثاني ومع ذلك فقد شارك اليهود العرب بالفخر اذ حفظا معاً العلم والفلسفة في عصر كانت اوربا فيهِ تائهة في ظلمات الجهالة

م - ن

الارادة

" لو ارتفقت السموات والارض على رجل تحركت ارادتهُ لفلقهما ووجد من بينهما مخرجا "

ما من طائفة اختل امرها وضل سعيها حتى اخذتها الرجفة وركبها الهول واصبحت خاوية كأن لم تغن بالامس الاَّ وقد خبت من قبل زناد اختيارها وتراخت عزيمتها

وما من امة تقوض مجدها وتل عرشها وبادت مكانتها والتزعت اركانها واصبحت لا ترى الاَّ مساكنها الاَّ وقد خمدت همتها وماتت ارادتها فتقاعدت عن المهمات وتربعت الصدفات وقالت انَّا ههنا قاعدون حتى يأتي الله بفتح من عندهِ

تلك حقائق راهنة في المدنية لا تتغير ومبادئ ثابتة في العمران لا تتبدل وسنَّة من سنن الله ولن تجد لسنة الله تحويلاً

وكأني بالقارئ يُسأل عن ماهية الارادة لا يعرف لها معنىً ولا يدرك لها كنهاً لما رسخ في ذهنهِ وطبع على قلبهِ من ان " الانسان مسيَّر لا اختيار لهُ يقضي على حكم القضا وتجاري القدر " . نعم ان الانسان يجري على احكام القضاء الاَّ ان الله هداه النجدين العقل والهدى واودع فيهِ قوة تشرك العقل في امرها ألا وهي الارادة حيز الهمة والعزم ومعهد الحرية ومقيل القوة والمروءة وموطن الغيرة والحمية ومبيت الانفة والاباء ومقام الاقدام والشهامة

فالارادة ايها القارئ الكريم خطة ثالثة لروح تحدو بالمرء الى مطالب العقل وقد يعرض

فما هوى النفس ان تكسرت شوكتها وضعفت قوتها فيغلبها عما عليه فما الحكمة والواجب . وثمت الطمعة الكبرى والبلية العظمى . وهي غريزية في الانسان تبقى خامدة جامدة اذا لم يسع وراء تهذيبها وتشذيبها تزداد قوة ورقياً كلما تعاهدها المرء بالعمل . فاجهد اذاً ايها الرجل في تربية الارادة حتى لا تدع عليك للهوى سبيلاً فتكون الغالب على زمام امرك ويكون السلطان لك عليك وعلى نفسك وجسمك وعواطفك وافكارك واعمالك وحياتك فتحيا حراً سعيداً تحت زعامة العقل والحكمة والواجب والوجدان . وليس مطلب اعلى كعباً واشرف شأواً من هذا للانسان ألا وان الحياة بالعمل ان خيراً فخير وان شراً فشر وليس للانسان الا ما سعى

ورقي الارادة بالمران والمعالجة وهذان مثالان نذكرهما في معرض الحديث : اذا اتيت مائدة الطعام واتيت على ما اتيت من المآكل حتى كفيت وبلغت حد التخمة ثم جيء باطعمة فدعاك باعث اللذة واشتغل العقل وحكم بضررها فاصرف حينئذٍ عنك النفس ورغبتها واللذة وعواملها . واذا قضيت نهارك في متاعب الاشغال حتى كلّت اعصابك ثم حان ان ستمثل « دمعة الباكي » مساء فدعاك داعي الشوق اليها فاضرب عنها صفحاً واطرح كسلاً وخل السبيل لراحة جسمك وراحة عقلك . هاتان مزاولتان للارادة في صغير الامور تعتاد بهما على عمل الارادة في عظيم المهام وكبير الاعمال كأن يؤتى اليك بالمذهب وانت عامل على الحدود لتمكن العدو من الاستيلاء عليها فيجيش فيك عاملان عامل الهوى للمذهب وعامل العقل للواجب فان استقرت فيك الارادة تبعت الواجب وعارضت المذهب وفجعت وفجع الوطن . واعلم ان صرف النفس عن اللذات صعب تناوله حرج تداركه لان مطالبها جاذبة عذبة لطيفة حبيبة الا على الذين اضاءت عقولهم وكبرت همهم ونفخت فيهم الأنفة حتى تشعشعت ارادتهم وتوقدت عزيمتهم فاولئك قوامون على انفسهم واولئك هم المفلحون

واعني بالارادة تلك النزعة التي ان قرت بعد هدى من الحكمة والعقل لا تزعزعها عواصف الشهوات ولا تزيلها اهواء الملذات . والارادة ان تغلبت النفس على جانب منها استحكم فيها التردد ومن اعتوره التردد اظلت عليه حالة وساء مآله . وقد قيل "وان فساد الرأي ان تتردد" . واعلم ان التردد موقفة في العمل مجبلة للفشل ان ركز عليه الزند بطلت ارادته واضمحلت عزيمته واصبح في معترك الحياة

كريشة في مهب الريح ساقطة لا تستقرّ على حال من القلق

او كسفينة فقدت دفتها في بحر هاجت مياهه تسير ولا تدري اين يسار بها تسير على حكم

الرياح حتى تأذن الامواج بابتلاعها . والويل كل الويل ان اصاب التودد رجال الادارة فتقلع اوتاد الملك بعد ان يمكّن لها في الارض وتتبدل الارض غير الارض لان الارادة والعزيمة صفتان ضروريتان لمن عهد اليهِ قيادة جيش او ادارة ولاية او تسيير امة . وقد قال سنكا الفيلسوف الروماني " لا سيادة ان لم تسند الارادة "

ويظهر لك شأن الارادة ان القيت بنصرك على الرجال العظام كسقراط وزينون وده كارت وقنط وابي حنيفة وابن ادريس وابن تيمية وصلاح الدين وموتسكيو ونابوليون ومبسمرورومو وبسمارك ومن شابههم فتعلم انهم لم يكبروا ولم يطاولوا السماء الاّ بارادتهم

قال دوس رأس مجلس الامة في فرنسا البارحة واحد اعضائهِ اليوم ان كل رجال السيادة والقيادة كانوا من ذوي الارادة . ولقد اصاب في قولهِ فهذا ابو بكر وعمر وخالد بن الوليد ونابوليون وغلادستون وبسمارك وروزفلت تقال الارادة ورجال العزيمة مع ان نابوليون قد رجع القهقرى حتى غلبت عليهِ ارادة بلوخر وولنكتون . ولو طبعت ارادة هذين الرجلين على اقل وطأة من ارادة نابوليون لكان الغلب لهُ يوم وترلو . وليس هذا بالحدس او الوهم ولكنهُ الحق الصراح فان جنود الانكليز كادت تقع في قبضة الاسر لو لم تستفز ولنكتون ارادتهُ فثبت بجيشهِ حتى المساء وكذلك جنود الالمان فانها كادت تنهزم شر هزيمة امام نابوليون

الاّ ان بلوخر اراد ان تكون الغلبة لهُ فسعى كما اراد وقصد الى وترلو فاجتمع الجمعان فضعفت ارادة نابوليون امام تينك الارادتين اللتين لا مطمع فيهما . وفي التاريخ دلائل اعظم من هذه برهاناً يرجع اليها من خامرتهُ الريبة في شأن الارادة

واعلم ان الامم التي تهوى عرشها في عهدنا لم تفتقد رجال العقل والذكاء بل انما تفتقد اولئك الرجال رجال الارادة فان العقل والذكاء يكادان ان يكونا بمثابة واحدة في كل جيل وقبيل بخلاف الارادة فانها تختلف باختلاف الطبائع فيختلف معها النجاح في الحياة الدنيا ان هي سقطت من الامة سقط النجاح وان نهضت فيها نهضت حتى انها لتحسن للفرد باكثر مما تحسن لهُ الثروة والغنى . نضرب لك مثلاً رجلين احدهما ذو يسار والآخر ذو ارادة فعمل كلاهما في امر الاّ ان الثاني كان رجلاً همّاً يتتبع الوسائط ويريد النجاح والاول يعتمد على وفرة مالهِ ولا يعمل العزيمة فيخطأ الاول لا محالة ويفوز الثاني فوزاً مبيناً فالارادة اذاً اس النجاح قال حكيم عربي " كم من حياة سببها التعرض للموت " فأخذهُ اديب اسحق وقال " رب حياة تكون في طلب الموت "

هذا اثر الارادة في السعادة واما اثرها في الاخلاق فهي الامارة بكل ضبع حميد والدافعة لكل خلق جميل حتى اذا رسخت في المرء ركنت له مكة رسخ فيه الثبات والاقدام وحب الواجب وحب الخير ومعاطفة الشرف والمروءة والحمية والايثار وكل مكرمة من الاخلاق ونبل. فهي ام الفضائل ومنبوع الفضل ومطلع السعادة ومشرق الحياة النفسية تنبذ عن المرء كل خلة ذاسية وان التصقت وكل سجية وان تمكنت وكل خبيثة وان تملكت حتى يخلص من النوائب والمعايب فيحيا حياة تزدان شهماً متداماً لا تقيده العوائد ولا تقوده الاميال حاكماً على امره لا تزلق به قدمه حيث تدحرج نفسه وتجاذبه قدمه كصخرة لا يزعزعها تيار الهواء ولا تدفعها من مكانها تجاري الماء الا اذا اضطرب امرها ولم تستقر حالها على شيء فتقلب ظهراً لبطن وبطناً لظهر حتى يودي بها

وكيف يحاز الحمد والجسم رادح ... وكيف ينال المجد والعزم فاتر

فلا رقي اذاً للمرء قبل ان تترقى فيه الارادة فتصغر حياته وتزوق اوقاته. وقد حقق ذلك الفاضل فردريك بايسي فقال في بحث له بالمجلة الافرنسية "ان صلحت الارادة ذهب البؤس بأسه" وهذا حق لما قدمنا من ان الارادة تنفي كل دفينة وسفيه وتبعث الى كل عظيم وكريم. وغير خافٍ ان السذاجة والسفاهة متى تمكنت من المرء وقامت مكانهما النخوة والعفة فقد ذهب عنه البؤس وطلعت السعادة

وكما ان للارادة اثرا في الاخلاق فلها الاثر الذي لا عفاء معه على الامراض لان الارادة كما اشرنا وطن الصحة والصحة شعلة من شعل الحياة تحرق كل جرثومة دأبها الاذى وتميت كل نسمة طبعها البلاء حتى تتقاد صاغرة في دوران الدم والعكس بالعكس ان تراخت شكيمة الارادة فيضعف الثبات والاقدام. ومتى ضعف الاقدام مدت يدها الاوهام ومتى استحكمت هذه يتمكن الامراض من الجسم وتادت عليه بالفناء والاضمحلال. الا وان المصيبة تتضاعف من خلف هذه. وعلى السنة العوام امثلة من ذلك مضحكات لكنها جديرة بالاعتبار سبب تولم "لا تأتي المصيبة الا على رأس الاقرع" والذين مابوا على الارادة في عبارتهم رمعن حسين يؤيد ذلك ما روي عن غيتي الشاعر الالماني يوم دهمته الحمى فتغلب عليها بارادته حتى نجا من فعلتها وقد قال "للارادة اثر عظيم على الامراض تنتشر في الجسم وتبلغ فيه مبالغ يعسر عنه ضمر العاديات" يحاكي هذا قول بوسويه الذي اشتهرت مراثيه ولا سيما مراثي هنرياته "للارادة سلطان قوي على الجسم ترمي به الى عظيم السلامات" وثبت ان التبرع جيداً يساعد من سلامة المرضات والاطباء الذين يلازمون

المستشفيات ريكادون يقضون حياتهم بين ظهراني جراثيم الامراض ولا تسهم ادنى بلية كل ذلك بحول الارادة التي فولاما لاخطفتهم نسم العلل وكانوا في عداد الاموات

تبين لنا ان الارادة تدرأ الامراض عن الجسم فهل لها اثر في الشفاء ؟ نعم ذلك لا ريب فيه وقد تملت هذا الانباء حتى انها لتسرع بمداواة من رسخت ارادتهُ وتوطدت عزيمتهُ كأنها تقول من قصد وجد . من سعى سعد . وكيف لا تنمي الارادة وهي قوة من قوى الانسان الخاكمة على جسمهِ فكم من المقعدين غشيهم الخوف في فراشهم فارادوا النجاة وخفوا الى الركض سالمين من القعاد وكم من الكسيحين في بيروت لعبت بهم النار فاستحوذ عليهم الرعب من هول الموت فطلبوا السلالم ونهضوا من فرشهم راكضين . وقد قيل ان بعض الزمنى ذهب يوم الاحد الى حيث يقيم صلاتهُ فسمع صحيح الخوف بين الناس فتساءل القوم فقيل فرَّ اسد من مجمع الحيوان واتى الجوار فسارعوا وازدحموا للهرب وبقي المصاب وحيدًا ترجف فرائصهُ حتى اضطرمت ارادتهُ واحتركت عزيمتهُ فاشتدَّ عصبهُ وذهب مرضهُ وطلب النجاة كما طلبوا فلما ذهب الروع واطمأن الناس على انفسهم رجعوا فوجدوا الزمن قد تسلق مكانًا عليًّا في نافذة من النوافذ لا يدرون كيف بلغهُ فراموا انزالهُ فعز عليهم حتى انزلوهُ بعد جهد جهيد

وقيل ان رجلاً ضعفت اعصاب لسانهِ حتى تعذر عليهِ الانصاح فعمد طبيبهُ الى اختراع آلة تشفيهِ فاشرأبت نفس المريض اليها وايقن ان بها الدواء حتى لم يكد يستطيع صبرًا فلما اعدها الطبيب طار لبهُ مسرة لرغبتهِ في الشفاء فاخذ الطبيب في العمل ووضع ميزان الحرارة في فم الرجل ليعلم درجة الحرارة فيهِ فظن المريض ان الميزان هو الآلة المقصودة بالذات فاشتد فرحهُ واجتمعت قوى ارادتهِ في الشفاء حتى صرخ فصيحًا شفيتُ فشكرًا ايها الطبيب نبهت الذين سمعوهُ

هذا ولا تكاد تنتهي اعاجيب الارادة بحيث لا يبالغ ان قلنا المستحيل مستحيل ولا نشطُّ في كلمتي بدأت بها هذه السطور وهي

" لو ارتتقت السموات والارض على رجل لخرق لهن ارادتهُ لفتقها ووجد من بينها مخرجًا "

بيروت عبد الغني العريسي

اصل النبط في البتراء

تابع ما قبلهُ

قامت الدولة الاشوريَّة الثانية وغلبت على البلاد البابليَّة كما غلبت عليها الدولة الاولى من قبل فصارت بابل مدينة ولاية لا عاصمة مملكة وحاولت غير مرَّة ان تسترد استقلالها فلم تفلح . وقسا عليها ملوك اشور سرجون وسنحاريب واشور بانيبال ولا سيما سنحاريب فانهُ دكَّ اسوارها الى اساساتها وهدم قلاعها واحرق المدينة بالنار لم يشفق على شيءٍ ولا رعى حرمة شيءٍ وان كان مقدساً بل حرق وهدم حتى المعابد والهياكل فلم يبقِ ولم يذر . ومع ذلك أُعيد بناؤها في ايامهِ فعادت الى العظمة التي كانت لها بعد زمنٍ قصير . ثم اخذت الدولة الاشوريَّة تضعف واسباب ضعفها معلومة فانها الظلم والعنف ولهر الامراء والكبراء وانهماكهم في المعاصي والشهوات ودوسهم الشرائع وكل ما هو مقدَّس تحت اقدامهم . فبشر الظالمين العتاة الباغين ان استدراجهم لا يدوم ولا بدَّ ان يبلغ الكتاب اجلهُ

كان نبوبلاسر والياً على بابل من قبل ملوك نينوى ورأى ما صاروا اليهِ من الانهماك في المعاصي والشهوات كما رأى ذلك امراء مادي وفارس فعقد معهم حلفاً على اكتساح الممالك الاشوريَّة فشقوا عصا الطاعة وزحفت جنود البلادين على نينوى وما زالوا على حصارها حتى افتتحوها عنوةً وعادوا عنها ولد فلحوها وزرعوها ملحاً واقتسموا مختاتها فوقعت البلاد غربي الفرات للبابليين

الاَّ ان شعوب سوريا وفلسطين كانت تطمع في عود استقلالها اليها او شيءٍ منهُ وكانت مصر ايضاً قد انتبهت من خمولها وقام عليها ملوك فيهم همة ولهم مطامع ومنهم فرعون نخو فطمع هذا في استرداد ما كان للفراعنة من النفوذ في بلاد الشام والتطاع قسم كركيش على الفرات . والظاهر ان شعوب سوريا وفلسطين من ادوميين وموابيين وعمونيين وارامييين انحازوا اليهِ الاَّ يوشيا ملك يهوذا فانهُ بقي على ولائهِ للاشوريين فتصدَّى لمعارضة نخو الا انهُ قتل في مجدو في جهات الجليل . وعاد نخو من ربلة في ارض حماه قرَّ على اورشليم وعزل يهوياحاز الذي كان قد ملك مكان ابيهِ وارسل بهِ اسيراً الى مصر فمات هناك وملَّك اخاهُ يهوياقيم بدلاً منهُ وغرَّم الارض مئة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب

ولما رأى نبوبلاسَّر ما رأى من تحالف ممالك الشام وانحيازهم الى جانب الفراعنة عقد

اللواء لابنهِ نبوخذنصر وجعلهُ قائدًا اكبر للجنود البابليَّة فسار نبوخذنصر حتى جاء الى كركيش حيث كانت جنود المصريين فانشبت بينهُ وبينهم معركة هائلة فاز فيها نبوخذنصر فوزًا مبينًا وارتدَّ فرعو منهزمًا لا يلوي على شيء فوضع نبوخذنصر يدهُ على كركيش وجعل فيها حامية من قبلهِ ثم تعقب المنهزمين الى سوريا وفلسطين

والظاهر ان اغلب شعوب هاتين البلادين انخلعت قلوبهم بعد واقعة كركيش فاذعنوا بالطاعة لنبوخذنصر لم يبدوا كبير مقاومة الاَّ صور لشدة ما كان بينها وبين المصريين من استحكام علائق المودة والمصافاة . فان نرعون نفو هذا على ما يذكرون قرَّب الصوريين اليهِ وجعل منهم رؤساء لعمارقهِ لهذا طالما فيها حوالي افريقيا فمرُّوا برأس الرجاء الصالح ثم داروا من هناك شمالاً حتى وصلوا برغاز جبل طارق ومنهُ الى السويس . وفوق ذلك كان هذا الملك وصل بترعةٍ بين السويس والبحر المتوسط وحوَّل الى السويس تجارة الهند واليمن وشواطئ افريقيا على البحر الاحمر وكل شواطي الزنج من باب المندب الى الموزمبيق فاتت بهذا التحويل تجارة ايلة وعاش السويس فانحصرت بين ثمَّ ارباح هذه التجارة الواسعة بين المصريين والصوريين ولذلك يهمهم ان تكون الغلبة لمصر او اقلهُ يبقون على استقلالهم وتبقى علائقهم مع المصريين على ما كانت عليهِ

وجاءت جنود نبوخذنصر اول مرَّةٍ الى اورشليم فتلقاهم اليهود بالطاعة والاذعان ونبذوا هنهم ولاء المصريين الاَّ انهم بعد ارتداد الجيوش الكلدانية الى بابل واشتغال نبوخذنصر عن الشام باطفاء بعض الثورات الداخليَّة عادوا الى ولاء مصر وطمعوا بنصرتها فانتقضوا على نبوخذنصر فبعث هذا عليهم غزاةً من الكلدانيين انضاف اليهم غزاة من الموابيين والعمونيين والادوميين والاراميين فضايقوا اليهود . ومات في تلك الاثناء ملكهم يهوياقيم وملك ابنهُ يهوياكين مكانهُ فلم يلبث الاَّ ثلاثة اشهر ثمَّ استسلم هو وامهُ وعبيدهُ ورؤساؤهُ وخصيانهُ لنبوخذنصر . وسبى نبوخذنصر كل اورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس وجميع الصناع والافيان لم يبق الاَّ مساكين شعب الارض وملَّك عليهم صدقيا عم يهوياكين

وعاد نخو في ايام صدقيا الى مراسلة اليهود واغرائهم بالعصيان وان يكونوا يدًا واحدةً على ملك بابل ومال الى جانب المصريين اكثر الامم المجاورة اليهود ايضًا . وكان في اليهوديَّة حزبان احدهما لنبوخذنصر واشهر رجاله ارميا النبيّ وحزب آخر للمصريين كان فيهِ اكثر العظماء والرؤساء فغلبوا على الملك صدقيا فلم يقوَ على مخالفتهم فيما لو اراد واشتدَّت الفتنة في السنة التاسعة لملكهِ وجهروا بالعصيان فعاود نبوخذنصر الكرة عليهم ونزلت جيوشهُ على اورشليم

وشدّدوا عليها الحصار . وكان الملك وحزبهُ ينتظرون من حين الى آخر قدوم المصريين لمساعدتهم فخابت آمالهم وخطرهم لهب الجوع والفشل فلم تبقَ فيهم قوّة للدافعة واخذ كثيرون يتسللون الى الكلدانيين

وعلى ما يظهر لي من مراجعة سفر ارميا ص ٣٨ و ٣٩ ومن مراجعة خبر حصار اورشليم وافتتاحها في سفر الملوك الثاني ان حزب ارميا الذي قوي في آخر مدة الحصار حتى ان صدقيا الملك كان يحدّث نفسهُ بالانضمام اليهم ولكنهُ كان ضعيف الهمة متردّدًا لا عزيمة لهُ وما زال يسوّف الامر حتى خرج من يده وغلب حزب ارميا وفتحوا المدينة للكلدانيين فلم يشعر صدقيا الاَّ وبرؤساء ملك بابل في المدينة في الباب الاوسط فلما رآهم صدقيا هو وكل رجال الحرب هربوا وخرجوا ليلاً من المدينة في طريق جنة الملك بين الباب بين السورين وخرج هو في طريق العربة ولكنهُ أُدرك في عربات اريحا واُخذ من هناك الى ربلة في ارض حماة حيث كان نبوخذنصر فقاضهُ امامهُ وحكموا عليهِ ان يُقتَل بنوهُ على مرأى منهُ ثم تُقلَع عيناهُ ويُقيَّد بسلسلتين ويُرسَل الى بابل

والظاهر ان حزب ارميا كان يطمع بفتح المدينة اذا هم سلّموها للكلدانيين فتسلم من الحريق والتخريب اللذَين يوتهم واسوالم ولكن بدا لنبوخذنصر فامر بذلك اسوار المدينة وهدم هيكلها وما فيها من القصور والبيوت وتحريقها بالنار وارسل من قبله نبوزرادان رئيس الشرط لينفذ فيها امرهُ فجاء هذا الى اورشليم في الشهر الخامس في سابع الشهر — وكانت المدينة أُخذت في الشهر الرابع في تاسع الشهر — فاحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت اورشليم وكل بيوت العظماء احرقها بالنار وجميع اسوار المدينة مستديرًا هدمها كل جيوش الكلدانيين الذين مع رئيس الشرط وبقيَّة الشعب الذين بقوا في المدينة والطاربون الذين هربوا الى ملك بابل وبقيَّة الجمهور سباهم نبوزرادان رئيس الشرط ولكنهُ ابقى من مساكين الارض كرّامين وفلاّحين (انظر الملوك الثاني ص ٢٥)

واوصى نبوخذنصر ملك بابل على ارميا نبوزرادان رئيس الشرط قائلاً خذهُ وضع عينيك عليهِ ولا تفعل بهِ شيئًا رديئًا بل كما يكلمك هكذا افعل معهُ . فارسل نبوزرادان رئيس الشرط ونبوشزبان رئيس الخصيان ورجل شراحير رئيس المجوس وكل روساء ملك بابل ارسلوا فاخذوا ارميا من دار السجن واسلموهُ لجدليا بن اخيقام بن شافان فسكن بين الشعب (انظر ارميا ص ٣٩)

وعدَّ روساء الجيش الذين كانوا من حزب ارميا ممن سكنوا المدينة ان ما فعلهُ نبوخذنصر

من احراق المدينة وبيوتهم في جملتها فصار واخرجوا لتصحت ثقتهم بارميا وبالكلدانيين ولذلك لما قام يشمهم وهو اسمعيل بن نثنيا بن اليشامع من نسل الملوكي وعشر جدليا بن اخيقام الذي ولاه نبوخذنصر على بقية الشعب للاثة اشهر من ولايته تفكر البافون وتخوفوا ان يتهموا بمالاة اسمعيل على قتله ويؤخذوا بتهمة مقتله فخولوا وجوههم وجهة مصر ولكنهم ارادوا ظاهرًا ان يستشيروا ارميا قبل ان يمضوا لما قصدوا اليه واليك ما جاء في سفره في شأن هذه الاستشارة قال :

فتقدم كل روساء الجيوش ويوحانان بن قاريح ويزنيا بن هوشعيا وكل الشعب من الصغير الى الكبير وقالوا لارميا ليت تضرعنا يقع امامك فتصلي لاجلنا الى الرب الهك لاجل كل هذه البقية — فيخبرنا الرب الهك عن الطريق الذي نسير فيه والامر الذي نفعله — وقالوا لارميا ليكن الرب بيننا شاهدًا صادقًا وامينًا انا نفعل حسب كل امر يرسلك به الرب الهك الينا — وكان بعد عشرة ايام ان كلمة الرب صارت الى ارميا فدعا يوحانان بن قاريح وكل روساء الجيوش الذين معهُ وكل الشعب من الصغير الى الكبير وقال لهم : — ما خلاصتهُ البقاء في البلاد على ولاء الكلدان.

ولما فرغ ارميا من خطابه لجميع الشعب — قال عزريا بن هوشعيا ويوحانان بن قاريح وجميع الرجال العتاة لارميا انك تتكلم بالكذب وانرب الهنا لم يرسلك قائلاً لا تنطلقوا الى مصر لتتغربوا هناك بل باروخ بن نريا مهيجك علينا لندفعنا ليد الكلدانيين ليقتلونا ويسبونا الى بابل الخ (انظر ارميا ص ٤٣)

وظاهر من جوابهم هذا حقدهم على الكلدانيين وتخوفهم من غدرهم وظاهر ايضًا ان ثقتهم بارميا وصلت الى منتهى الضعف حتى اتهموهُ بالكذب في وجهه وانهُ آلة في يد باروخ ابن نريا . ولعلهم في تلك الاثناء وصلتهم رسائل من مصر او من احلافهم في صور فردتهم الى رأيهم القديم من المحازبة والولاء للمصريين ومن ثمَّ قاموا وذهبوا الى مصر واخذوا ارميا معهم بالرغم عنهُ ولم يسمعوا لصوته . وفي التقاليد اليهودية انهم قتلوهُ في مصر . واعلم انهُ اكثر هناك من ملامتهم وتوبيخهم بمعاصيهم وما كانت تأتيه نساؤهم من الشرور والتشهير وسكب السكائب لملكة السماء اجتراؤا عليه فانكروا نبوَّتهُ واستخفوا بكهنوته واتَّهموهُ كما اتَّهمهُ شمعيًا الخلاصي من قبل انهُ مجنون متنبئ وداعي فتنة وحبس فشكوهُ الى فرعون او احد عمَّاله بالخيانة والتحزب للبابليين فامرهم به فقتلوهُ

انَّا لا نعلم تفاصيل اخبار نبوخذنصر واعظم ما حفظ لنا منها انما هو المذكور في سفر ارميا

وفيه يظهر ان الرسل كانت تتردد بين صدقيا ملك يهوذا وبين الملوك المجاورين اعني الادوميين والمؤابيين والعمونيين وملك صور وملك صيدا وكذلك كانت تتردد الرسل والمراسلات بين الذين كانوا سبوا الى بابل مع يهوياكين وبين الذين بقوا في اورشليم وغاية كل هذا التراسل انما هو الفتنة وحمل اليهود على العصيان . والظاهر من رسائل ارميا الى المسبيين أن كان انبياؤهم يمنونهم بقرب العودة من السبي . واليك صورة رسالة منهُ الى المسبيين ارسلها قال فيها : هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل لكل السبي الذي سبيتهُ من اورشليم الى بابل ابنوا بيوتاً واسكنوها واغرسوا جنات وكلوا ثمرها خذوا نساء ولدوا بنين وبنات وخذوا لبنيكم نساء واعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات وأكثروا ولا تقلوا واطلبوا سلامة المدينة التي سبيتكم اليها وصلوا لاجلها الى الرب لانهُ بسلامها يكون لكم سلام لانهُ هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل لا تغشكم انبياؤكم الذين في وسطكم وعرافوكم ولا تسمعوا لاحلامكم التي تحلمونها لانهم انما يتنبأون لكم باسمي بالكذب انا لم ارسلهم يقول الرب (ارميا ص ٢٩)

والعجب من ذلك ان حنانيا بن عزور النبي (او المتنبي) يكلم ارميا في بيت الرب امام الكهنة وكل الشعب بما يأتي — هكذا تكلم رب الجنود اله اسرائيل قائلاً قد كسرت نير ملك بابل في سنتين من الزمان اردّ الى هذا الموضع كل انية بيت الرب التي اخذها نبوخذ نصر ملك بابل من هذا الموضع وذهب بها الى بابل واردّ الى هذا الموضع يكنيا بن يهوياقيم ملك يهوذا وكل سبي يهوذا الذين ذهبوا الى بابل يقول الرب لاني اكسر نير ملك بابل — وقال ارميا النبي امين هكذا ليصنع الرب . ارميا ص ٢٨

والذي اراهُ من تكرار عصيان اليهود ان اقوال هؤلاء الانبياء المشار اليهم والاماني التي كانوا يمنون بها الشعب لم تكن عن مجرد هوس وتكهن لا سند لهُ بل لا بدَّ لذلك من سبب وعلَّة السبب كان اشتباك نبوخذ نصر بحروب العيلاميين والعرب وتغلغله في صحراء العربية الشمالية لمياه وجبالها العسرة المسالك فكانوا يظنون ان الدائرة ستدور عليهِ هناك فيتغير الملك وتتغير السياسة بتغيره . وفيما جاء في آخر سفر ارميا وآخر سفر الملوك الثاني ما يستدلُّ بهِ على ان كان موالاة وتحالف بين اويل مرودخ بكر نبوخذ نصر وبين يهوياكين ملك يهوذا فان اويل هذا — وكان قد سجن في ايام ابيهِ حيث كان يهوياكين مسجوناً — لمَّا تولَّى عنصَّة الملك بعد ابيهِ رفع راس يهوياكين واخرجهُ من السجن وجعل كرسيَّهُ فوق كراسي الملوك الذين معهُ في بابل وكان دائمًا يأكل الخبز امامهُ كل ايام حياتهِ . فلا يبعد

ان تكون هذه الولاة هي الامم التي هي عليه حتى الآن حتى يزور ميزانه الذي تقلده آنفاً

وهنا نسأل هذا لماذا سجن اويل مرودخ اخو بكر نبوخذنصر الله لا يظن عن سبب سجنه تعليلاً اقرب الى القبول ويتطبق على ما صنعه ليهويا كين حال تسنمه اريكة الملك وسيأتي الوقت الذي يوافق ايضاً آمال اليهود المشار اليها في سفر ارميا الا ان اويل مرودخ (وكان سفيهاً غرًّا على ما نقل من اخباره) اغرى بخلع ابيه والاستيلاء على عرش المملكة دونه اثناء غيابه في غزواته وان يهويا كين وامراء يهوذا المسبيين كانوا ممن دخل معه في هذه المؤامرة ان لم يكونوا هم الذين حملوه عليها بحسنوها له ومنوه بانحيازاتهم واحلافها الى جانبه توعدهم انه اذا تم له الامر يردهم الى بلادهم ويكونون من جملة اوليائه واعوانه في غربي الفرات . واتصل طيدين هذا الوعد بهؤلاء المتنبئين فهتفوا به الى اخوانهم في اليهودية وحركوهم الى الفتنة والعصيان ووافق ذلك غرض المدبرين واشياعهم من ملوك صور وصيداء وادوم وموآب وبني عمون لتغلب حزب الفتنة على حزب ارميا حزب السلام والخضوع للبابليين

ولا يبعد ان حزب نبوخذنصر كتبوا اليه بحركة الافكار هذه واطلعوه على ما يدور من التواصل بين المسبيين واخوانهم في اليهودية وبين هؤلاء وبين المصريين واحزابهم ايضاً وان نبوخذنصر بحث فوجد مجالاً للظن في ابنه فسجنه وما زال في السجن الى ان توفي ابوه ثم وجه نبوخذنصر باسه على اليهودية ومدن فينيقية اما اورشليم فاستمرت سنتين تحت الحصار واما صور العظيمة فقالوا انها لم تؤخذ الا بعد حصار ثلاث عشرة سنة وبسقوطها دانت له البلاد غربي الفرات من كركميش الى العريش واصبحت كلها ولايات كلدانية ليس فيها لا لأمة ولا لمدينة استقلال اصلاً ولا شبه استقلال

ويهمني في مقالي هذا ان اسأل لماذا يا ترى تشدد نبوخذنصر كل هذا التشدد على صور حتى بقي على حصارها ثلاث عشرة سنة ألمجرد الطمع بما كان فيها من الغنى والتفائس ما اظن . فان نبوخذنصر كان يعلم ما بين صور وقرطاجنة من اواصر القربى والعلائق الخاصة وكان يعلم ان المصريين لا يسلمون اليه مدينتهم قبل ان تنقل مراكبهم كل ما فيها من اموالهم ونفائسهم الى قرطاجنة حيث لا تصل يده الى شيء منها . وكانوا مع ذلك لا يتوردون ان يفتدوا منه مدينتهم بالاموال الطائلة فيما لو اراد بشرط ان يتركهم على ما كانوا عليه من استقلالهم في مدينتهم وتجاراتهم فتشدده في الحصار وتشدهم في الدفاع كان اذن لغير مجرد النهب والسلب على ما قد يزعم وان كان يصح ان يكون من جملة الاسباب ايضاً

والسبب الرئيسي على ما ارى هو ان نبوخذنصر كان ملك مدينة تجارية رشعب اشتهروا

بالتجارة من قديم الزمان وزاحموا فيها غيرهم من الامم فلذلك لم يرضَ من الصوريين أن يقتدو متهُ مدينتهم بالمال والحرية السنوية وتبقى مدينتهم سيدة التجارة تفتح ابوابها لمن تشاء وتغلقها في وجه من تشاء على عادتها بل اراد ان تكون بابل هي سيدة التجارة ومركزها وان تكون صور سيناء لها لا تعارض تجارتها ولا تجارها على ما هي عليهِ كانتون والاسكندرية وغيرهما من مدن التجارة في الشرق بالنظر الى مدن اوربا التجارية في الوقت الحاضر وهذا ما كان يأباهُ الصوريون ويرونهُ موتاً لتجارتهم الواسعة وبالتالي مرقاً لعظمتهم وغناهم ولذلك اشتدَّ دفاعهم وطالت مدتهُ كما ذكرنا واشتدَّ صبر نبوخذنصر وعزيمتهُ حتى كان لهُ الفوز اخيراً . فتمَّ لهُ ما اراد واصبحت صور فرضةً لبابل وتجار بابل يحملون اليها ومنها تجاراتهم غير معارضين

عند متقارب نهري الفرات والدجلة على بضع ساعات الى الجنوب من مدينة بغداد الحالية على ضفة الفرات كان موقع مدينة بابل عاصمة شنعار او بلاد الكلدان . وهي بلاد جيدة الهواء والماء والتربة وتكاد تكون من اخصب بقاع الدنيا فان طبقة المزروع من الخنطة لا تنقص عن مئة ضعف وقد تبلغ الاربعماية . ومساحتها لا تقل عن اربعين الف ميل مربع كان الفرات والدجلة يسقيان كل شبر من الارض فيها . والى الشمال الغربي من شنعار ارض الجزيرة وهي اكبر منها مساحةً وفيها بقاع لا تقل عنها خصباً والى شرقيها مملكة ايران الحالية والى غربيها صحراء السماوة حتى تبلغ سوريا وشطوط المتوسط

والناظر الى الخارطة يرى الفرات والدجلة اكبر طريقين واسهلهما للتجارة يصلانها اي بابل بالبلدان المجاورة الى مسافة مئات من الاميال شمالاً وشمالاً غربياً واما الى الجنوب فيصلانها بخليج فارس فخليج عمان فبحر الهند والعرب ثم بباب المندب والبحر الاحمر . والمتأمل ايضاً يرى كل طرق البلاد الى الشرق والغرب والشمال والجنوب تنصبُّ اليها او تتفرَّع منها . وبالاجمال يقال ان موقعها كان في قلب الممالك القديمة وتقطتها من احسن النقط التجارية في ذلك الحين . وقبل ان الذين اسسوها انما اسسوها ابتداء للتجارة فلا عجب ان صارت اعظم مدن الكلدان ومركزاً للدين والادب ايضاً شأن كل المراكز التجارية المهمة في الاعصر الخالية . ومضى على تأسيسها نحو من ثلاثة آلاف سنة وهي مركز دين وادب وتجارة لا يضاهيها في ذلك مدينة من جميع مدن آسيا من المتوسط الى اطراف خراسان وبلاد السند غرباً وشرقاً ومن البحر الاسود الى سواحل حضرموت شمالاً وجنوباً . وقد اشتهر اهلها بالصناعة والتجارة شهرة لا تقل عن شهرة الصوريين والصيدونيين وغيرهم من الامم الفينيقية المعروفة والمشهورة

لما قام نبوخذنصر الكبير وكان يعلم ما للمدينتين من حسن الموقع التجاري ويعلم ايضاً ما للتجارة من الدخل في عظمة الملوك والممالك ترجمت خواطره لجعلها مركز تجارة العالم . وكان فرعون نخو معاصره قد حوّل طريق تجارة الهند والبلاد العربيّة من ايلة الى السويس فاراد هو ان يصرف هذا الطريق الى بابل . ولما رأى ان ذلك لا يتم له على ما يريد الاّ باخضاع العربيّة واقامة المستعمرات التجارية الكلدانية فيها وجه غزواته الى ارض البحرين وعمان فاخضعها لسلطته واقام فيهما المستعمرات التجارية لتومو وهم المعروفون بالنبط فصنعت البلادان باهل سواد العراق وما زالوا هم الغالبون على ارض البحرين ومعظم اهلها منهم الى بدء التاريخ المسيحي

ووجّه ايضاً غاراته الى نجد والحجاز وممالك حاصور فاخضع جميع البلاد لسطوته من الابلّة شرقاً الى ايلة غرباً ومن ايلة شمالاً الى المهجم جنوباً والمهجم مدينة على وادي مرّر غربي صنعاء عاصمة اليمن واحتلّ النقط التجارية على البحر الاحمر ما بين هاتين المدينتين اعني ايلة والمهجم فتوارد اليها تجار بلادهم الانباط وانتشروا في البلاد وسكنوا هناك واختلطوا بتجار العرب وبقي لهم بينهم النفوذ الاول الى ما قبل ايام تيبوس القائد الروماني الشهير بعقد او بعض عقود من السنين

ولنرجع الآن الى الادوميين فانهم كانوا في اول ما غزا نبوخذنصر اليهوديّة يملكون طريق التجارة من ايلة الى الخليج الفارسي فلما غزا ابناء عمهم وافتتح عاصمتهم وخرّب بلادهم وسبى عظماءهم وقتل مقاتلتهم ولم يترك في البلاد الاّ المستضعفين والمساكين من اهل الفلاحة والزراعة شتتوا بمصيبتهم وحدّثوا انفسهم بضمّ اليهوديّة الى املاكهم ولم يعلموا ما كانت الايام وتدابير نبوخذنصر تعدّ لهم . وفيما هم في شمالتهم واحلامهم بضم بلاد اليهودية الى بلادهم اذا بجنود الكلدان واعلامهم تزحف على العربية جنوباً وغرباً فدوّخوا نجد والحجاز واستخضعوا بني عدنان حتى كادوا يفتونهم فتهاربوا منهم في جميع الجهات التي حضرموت وتهامة وجنوبي اليمن واتبعهم الكلدانيون وغطّت خيولهم ورجالهم البلاد من الابلة الى ايلة . فاين ذهب الادوميون ؟ لاشك انهم تهاربوا من امام الكلدانيين الى جهات عاصمتهم سالع او البتراء فلما نزلت جنود الكلدان عليها اصابهم ما اصاب اليهود اي خرب اهل القرى والمزارع وكثيرون من اللاجئين من الاطراف الى الامم المجاورة وبقي من بقي في المدينة تحت الحصار وصبروا على شدّته مدةً ثم لما لم يروا بدّاً من التسليم سلموا للمتصرف فقتل من قتل وسبى من سبى وابقى من ابقى اما المدينة فلم ينس بها ما فعله باورشليم من الهدم والتخريب بل ابقى عليها

وجعلها محطة لقوافل عاصمته فانتقل اليها كثير من التجار ان لم يكن هو نقلهم وجعل على المدينة والياً من قبله فصارت مدينة بابلية اي انتقل رئاسة فيها للاباطة وان كان اهلها خليطاً من الفريقين اعني الادوميين والبابليين وما زالت كذلك كل ايام نبوخذنصر وايام خلفائه من ملوك بابل الى ان قامت الدولة الفارسية وورثت ممالك الكلدان ومدن تجارتهم فكان من جملتها مدينة سالع ولم يتعرض الفرس لهم بشيء وتركوهم على لغتهم وتجارتهم واكتفوا منهم بالخضوع والجزية ولنصيب المدنانيين وممالك حاصور بما نقل منهم نبوخذنصر اصبحت البلاد المجاورة لسالع تبعاً لها وما زالت تتقوى سنة بعد سنة بما لها من المنعة الطبيعية وبما كان يتدفق اليها من غنى التجارة كل ايام دولة الفرس الى ان قامت دولة اليونان فاذا بها مدينة قوية غنية ذات نفوذ في الحجاز ونجد الى خليج فارس ومن ايلة الى جنوبي جدة على ساحل البحر الاحمر وبعبارة اخرى اذا بها مدينة نبطية يلتف حولها كل النقط التجارية في الحجاز وتهامة ونجد البلاد التي كان دوخيا نبوخذنصر تأمين التجارة بين عاصمته وبين شواطئ البحر المتوسط والبحر الاحمر عن طريق شمالي العربية. فهذا هو اصل النبطيين في البتراء وايلة الذين ذكرهم لنا التاريخ عند اول قيام الدولة اليونانية. وقد اعتمدت على الاختصار والاجمال في حروب نبوخذنصر مع العرب لان الكلام طال عن حروبه في اليهودية ولعلي ارجع الى تفصيل ما اجملت في عدد آخر من اعداد المقتطف ان شاء الله

جبر ضومط

العلم في العام الماضي

علم الحيوان

عقد مؤتمر علم الحيوان الدولي في مدينة برمنغهام باميركا وقيلت فيه مقالات كثيرة الفائدة وكذلك نشرت مقالات مفيدة في قسم علم الحيوان في مجمع تقدم العلوم البريطاني ومن المباحث التي دار الكلام عليها الوراثة واصولها الطبيعية اي ردها الى اسباب طبيعية في الحويصلات الاصلية وتأييد ذلك بالامتحان. وبيّن المستر لدكر ان اذن الفيل الافريقي تميزه عن غيره من الافيال والمستر تشرس مثل ان الفيل الافريقي الصغير الجسم الذي وجد في الكنغو الفرنسوية صنف قائم برأسه وهو مثل الافيال التي كانت موجودة في بعض الجزائر في غابر الزمن كما في كريت. وقرأت مس درو في بابت مقالة عن آثار الفيل في كريت

وجرى البحث في الوراثة والوان العيون وفي كثير من آثار الحيوانات المنقرضة مما تقتصر فائدته على الباحثين في هذا العلم

الطبيعيات

المواضيع الطبيعية لا تحصى وقد خاض العلماء عبابها في كل الاقطار . ومما بحثوا فيه بناء الجوهر الفرد فقال الاستاذ سميثلس في مجمع ترقية العلوم البريطاني ان الطبيعيين لم يرضهم قط تعريف الكيماويين للجوهر الفرد بانهُ كرة صغيرة صلبة لا تتجزأ وقد وافقوا على ان العناصر مؤلفة من الجواهر ولكنهم لم يبحثوا عن بناء الجوهر وما يوجد في باطنهِ . وقد طُلب منهم الآن الاعتقاد بان الجوهر الفرد مجموع من الكترونات غير مادية . وكأنهُ غير ميال الى الاعتقاد بذلك لكن النتائج التي وصل اليها السر وليم رمسي في الراديوم تؤيد مذهب الالكترونات . وحسب السر اوليفر لدج كثافة الاثير بناء على مذهب الالكترونات توجدها تساوي كثافة جسم على كل سنتيمتر مكعب منهُ ما يساوي مليون طن من الضغط في كل سنتيمتر مكعب من الاثير قوة تساوي مليون طن وفي كل سنتيمتر مكعب منهُ قوة تساوي الف طن

وبان الاستاذ لوف ان شكل الارض كثري ولذلك تجمعت الاوقيانوسات عند وسطها وهي تحاول ان تعدّل نفسها هناك وعندهُ ان هذا سبب ما يحدث فيها من الزلازل وسبب شيوع الزلازل في اماكن مخصوصة

وقد كثرت الزلازل في العام الماضي فحدثت في جامايكا (١٤ يناير) وفي الكسيك (١٥ ابريل) وتركستان (٢١ اكتوبر) وكلابريا (٢٧ اكتوبر)

الفلك

كان المظنون ان دور كلف الشمس بلغ حدهُ سنة ١٩٠٦ ولكن ظهرت كلف كبيرة جدًّا في العام الماضي ومن الغريب انهُ ظهرت كلف كبيرة جدًّا في فبراير سنة ١٨٩٢ وفي فبراير سنة ١٨٩٤ وفي فبراير سنة ١٩٠٥ وفي فبراير سنة ١٩٠٧ . واربع من الكلف التي كانت على وجه الشمس في ١٠ و١١ فبراير كانت ترى بالعين لكبرها . وقلّت الكلف في شهر مارس ثم عادت في ١٣ يونيو وظهر منها ثلاث كبيرة جدًّا وكثيرات من الكلف الصغيرة حتى بلغت مساحتها كلها الفي مليون ميل مربع ووصل هذا المجموع من الكلف الى حد قرص الشمس الغربي في ٢٥ يونيو ثم عاد في يوليو ومساحتهُ اضيق مما كانت قبلاً ومع ذلك بلغت ثمانمئة مليون ميل ثم ظهر مجموع آخر من الكلف طولهُ تسعون الف ميل

ومساحتها الف مليون ميل مربع . وظهرت مجاميع اخرى كبيرة في اغسطس وسبتمبر . والذي ظهر في اواخر سبتمبر بلغ عرضه ١٥٠ الف ميل ومساحته ١٨٠٠ مليون ميل مربع وانقضت السنة والكلف كثيرة على وجه الشمس وبعضها يرى بالعين لكبرها ولذلك فالسنة الماضية من اكثر السنين كلفاً

وظهر من صور السيار ارومس الفوتوغرافية التي صورت في مرصد غرينتش ان زاوية اختلاف الشمس ٨ ثوان و٨٠٥ من الف من الثانية . وكشف كثير من النجيمات وخمس من المذنبات احدها مذنب ملش نسبة الى مسز ملش التي اكتشفته والمذنب الذي كشف سنة ١٩٠٦ قرب سنة ١٩٠٧ حتى صار يرى في اغسطس مثل نجم من القدر الثاني وبلغ طول ذنبه سبع درجات وهو مؤلف من ١٥ الى ٢٠ ريشة وهو المذنب التاسع والخمسون من المذنبات المنظورة بالعين التي ظهرت منذ سنة ١٨٥٠ الى الآن

وعبر عطارد على وجه الشمس في ١٤ نوفمبر . واثبت الاستاذ لول وجود الترع في المريخ بالصور الفوتوغرافية وكسفت الشمس في ١٤ يناير

وظهر من بحث مسز مونديرن الارض تأثيراً في كلف الشمس ومن بحث الاب كورتي ان حرارة الكلف اقل من حرارة فوتوسفير الشمس . ومن عدم وجود اثر للسيار داخل منطقة عطارد في الصور الفوتوغرافية التي صورت وقت الكسوف الاخير ان ما يظهر من الاضطراب في السيارات الذي لم يعلل الى الآن يمكن تعليله بوجود الحجارة النيزكية والغبار النيزكي في النظام الشمسي ولا داعي لفرض وجود سيار داخل منطقة عطارد

الكيمياء

استمرّ البحث في الراديوم وبيّن السر وليم رمسي انهُ اذا وضعت المواد التي تنبعث من الراديوم في اناء وحدها او مع الهيدروجين تكوّن منها عنصر الهليوم واذا وضعت مع الماء تكوّن منها عنصر النيون بدل الهليوم مع قليل من الهليوم . واذا وضعت في مذوب كاربونات النحاس بدل الماء لم يتكوّن منها هليوم بل ارغون وبقي في الاناء بعد نزع النحاس منهُ صوديوم وكسيوم وقليل من الليثيوم . وقد استنتج من ذلك ان بعض النحاس استحال الى ليثيوم والليثيوم من صف النحاس في ترتيب العناصر ولكنهُ في آخر الصف

علم الميكروبات (البكتيريولوجيا)

ثبت الآن ان براغيث الجرذان (Pulex cheopis) التي تحمل ميكروب الطاعون

وجرى البحث عن كيفية ظهور الحمّى التيفوئيدية من غير سبب ظاهر فاثبت ان بعض الذين يصابون بها و يشفون منها وتمضي عليهم السنون بعد ان يشارفوا بقى ميكروب التيفوئيد فيهم وينتقل منهم الى الاصحاء فقد ثبت ان ميكروب التيفوئيد يبقى سليمًا في المرارة عشر سنوات بعد ان يشفى المرء منها ولذلك يتعذر عزل الناس الذين يشفون من التيفوئيد ويبقى ميكروبها في ابدانهم واشار لوفر بطريقة لاستخراج ميكروب التيفوئيد من المواد المشتبه فيها. وكانت نتيجة بحث مؤتمر السل مخالفة للنتيجة التي استنتجها كوخ عن بقرى على البقر

فكرة الخير والشر

قال الشاعر العربي

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

وقال المقتطف: "كنا نراقب في هذه الايام ولدين صغيرين صبيًا وبنتًا عمر الصبي نحو سنتين وعمر البنت نحو اربع سنوات فرأيناها يكذبان ويخدعان ويحتالان. ولم نرَ احدًا علمهما الفلسفة الادبية الذين يقولون ان اصول الآداب مودعة في نفس الانسان ولا تنفك عنها البتة ليروا اعتقادهم"

وذهب فريق الى ضد ذلك فقالوا ان اصول الآداب مودعة في الانسان فهي في نفسه وعقله وان فكرة الخير عامة مطردة في البشر وهي لازمة ضرورية وغير ممكن ان تنفك عن القوى البتة. ومنهم صاحب حياتنا الادبية.

قرأت ذلك في المقتطف وتذكرت بالمثل: "النفس امّارة بالسوء" وقلت في نفسي: لماذا هذا الاختلاف العظيم بين جمهور المفكرين فلا بد ان يكون هنالك اسباب جعلت كلًا من الفريقين يرى رأيًا مضادًا للآخر. فما هي هذه الاسباب

كل انسان علت مداركه او انحطت تراه اثنين في آن واحد يحدث مؤامر بالمعروف ويعظ فيحث على الفضيلة ويكتب لينهى عن المنكر ثم يفعل فتجد افعاله في الغالب مخالفة لاقواله. ويشتدّ هذا التناقض اكثر عند النظر الى هذا المعروف الذي يأمر به و لمنكر الذي ينهى عنهُ بحسب الوجهة التي ينظر اليها منها. فلا بدّ لذلك من سبب جوهري يغفلهُ الباحثون في هذا الموضوع

اكثر الباحثين في افعال البشر ينظرون اليها كأنها افعال مجردة وقلما ينظرون الى

العلاقة التي بينها واذا نظرنا اليها فمن اطرافها البعيدة وهي شديدة الاختلاف كثيرة التضاعيف كالحلقات المتسلسلة يحار العقل فيها ان لم يردها الى بسائطها

افعال الانسان قائمة على مبدإ مشترك بين سائر الكائنات فناموس الالفة في الجماد وحب الذات في الانسان من مدار واحد وغايتهما واحدة اي حفظ كيان كل واحد منهما وافعالها البسيطة اي المجرّدة عن كل روية واحدة ايضاً في دفع الاذى وجلب المنفعة وتسمى طبيعيّة في الجماد وبديهية في الحيوان والانسان وهي كائنة ايضاً في النبات ولا عبرة بالاسم وانما العبرة في ان كلاً من العوالم الثلاثة من جماد ونبات وحيوان خاضع لنفس هذا الناموس في حفظ كيانه فاذا نظرنا الى هذه الافعال والغاية المترتبة عليها وهي حفظ الذات لا يسعنا الاّ ان نقول ان الغاية الاولى منها ليست الشر بل الخير. وخير المحبة ما ابتدأ بالذات كما في المثل المعروف

ولا ينكر ان هذه الافعال يترتب عليها حدوث الشر ايضاً فان الجماد الذي ينشئ ائتلاف سواهُ لخير الذاتي انما يضرّ بذلك السوى اذا اعتبرنا مثل هذا الخير إضراراً وكذلك النبات الذي تنطبق اوراقهُ على الذباب الواقع عليهِ حتى يموت . والحيوان الذي يفتك بسواهُ لمصلحة نفسهِ . فان مثل هذا الفعل المترتب عليهِ الخير الذاتي لم يقع بدون إضرار . فان كان القصد من البحث في هذا الموضوع معرفة الفكرة الاولى المرتبة عليها هذه الافعال فلا يسعنا الاّ ان نقول انها الخير لان الشرّ حدث منها عرضاً ضرورةً لتعذّر وقوع ذلك الخير بدونهِ . واما اذا كان القصد الخير مجرّداً والشرّ مجرّداً فالبحث حينئذٍ يستنفد قوانا ولا يأتي بطائل لان الخير والشرّ مجرّدين ليسا في هذا العالم

وفي افعال الانسان تختلط الامور كثيراً جداً لاشتراك الروية فيها وتختلف ايضاً لاختلاف هذه الروية وما استفادتهُ من الاختبار ولكنها لا تختلف في الغاية التي تصبو اليها وهي حفظ الذات حتى ولو انكر الانسان نفسهُ واتى افعالاً تخالف هذا المبدأ في الظاهر فلا ينكرها من جهة الاّ حبّاً بها من اخرى خوفاً من عقاب او طمعاً بثواب

ومهما اختلفت الروية فمحورها واحد . هنا اثنان كلٌّ منهما ينظر الى مصلحة نفسهِ فهذا تدلّهُ مداركهُ على ان مصلحتهُ لا تتأتى لهُ مع مصلحة سواهُ فيستأثر بالمنفعة او ما يظنهُ كذلك ويتعمّد الاضرار بسواهُ ويقدم عليهِ مطمئن الضمير معتقداً انهُ يفعل خيراً كما في منازعات الاديان والاوطان مثلاً . وهذا يرى باختباره ان مصلحتهُ لا تقوم الاّ بمصلحة سواهُ فلا يخطئها وهو عالم كما في مسائل العمران عموماً

واما الاستشهاد بالصغار وكذبهم واختلافهم بعد اخذهم فليس بالدليل القاطع فالكذب ليس من طبيعة الطفل ولا من مواهب الله له بل الطفل يصدق حتى يعلم ان صدقهُ قد يجني عليهِ فيعمد الى الكذب دفعاً للضرر . فالكذب عارضٌ على الطفل من جنس تربيتنا لهُ . خذ طفلاً ارتكب ما لعنهُ نحن ذنباً لم يعرض لهُ في نفسهِ ولا شاهد في سواهُ ما يحملهُ على التروي قبل الاقرار واسألهُ من عمل هذا ؟ فلا شك انهُ يجيبك على الفور بقولهِ انا فاذا عاقبناهُ عليهِ كما هو الغالب افتستغرب بعد ذلك اذا لم يصدقك اذا اتى امرًا غير جائز في عرفنا نحن لا في عرفهِ هو لان الطفل لا يعرف الجائز من غير الجائز في اول الامر ولا يعرفهُ الاَّ منا وكيف يعرفهُ منا الاَّ بالعقاب ولا يرى نجاتهُ حينئذٍ الاَّ بالكذب فيكذب ويكذب حتى في ذنبٍ ارتكبهُ على مرأى منك وهذا ما حملني على القول في بعض مباحثي " نحن الذين علمنا الانسان ان يكذب لأنا عاقبناهُ على الصدق " وانا لا اظن ان هذه القاعدة تحتملُ اذا احسنَّا المراقبة جيداً وعلى فرض انها اخطأت فلا يكون ذلك حجة على هذا المبدإ بل تأييد لناموس آخر هو ناموس الوراثة اذ لا ينفي ان الصفات الادبية حسنة كانت او رديئة تنتقل بسهولة في النسل . ومن الجائي حينئذٍ على هؤلاء الاطفال الابرياء ألسنا نحن الذين نعاقبهم على ذنب تطرَّق اليهم منا

وبالبيت الامر اقتصر على ذلك بل نحن في كل افعالنا امامهم مثال رديء وهم اطوع من ظلنا في تقليدنا واشد طواعية من السمع في اطباع افعالنا فيهم نكذب امامهم ونكذب عليهم ونعلمهم ان يكذبوا عنا ونروّعهم ونخيفهم بكل ما يتبين لهم كذبهُ بعد قليل فماذا تنتظر من طفل ينشأ في مثل هذا الوسط . على ان الكذب على ما يظهر قد صار شرًّا لازماً في هيئتنا الاجتماعية كما في نبو عدة التاجر الماهر والسياسي المحنك والامام الهادي والقاضي العادل والمحامي الفاضل والطبيب النطاسي والصحافي الصادق والوطني الغيور وقد حلق الشاعر فرقهم بقولهِ

الصدق ان الفك تحت العطب ... لا خير فيهِ فخصم بالكذب

الدكتور

شبلي شميل

[المقتطف] لما قرَّظنا كتاب " حياتنا الادبية " في الجزء الماضي من المقتطف اشرنا استطراداً الى الرأيين الشائعين من آراء الفلاسفة الرأي القائل ان الآداب فطرية في نوع الانسان لم تنفك عنهُ من حين وجد على وجه البسيطة والرأي القائل انها مكتسبة

بالارتقاء الطبيعي والطفل يولد الآن وفيه جراثيم امراض كثيرة بعضها كما يتضح وبعضها كما يدلم كأنها خلاصة تاريخ ما جرى لنوع الانسان في اوائله. وقد جاءنا صديقنا الفاضل الدكتور شميل الآن بمسألة فرعية فقال ان الغاية الاولى المرتبة على افعال الانسان والحيوان والنبات هي حفظ الذات فهي ليست الشر بل الخير ولم اعتدى على غيره. وتفصيل الدكتور حسن جدًّا ولكنهُ لا ينفي ما قدمنا كما يظهر مما يلي :— انظر الى ثلاثة من الاخوة معهم ثلاث من اخواتهن كل اخ مع اخته واعطِ كلاًّ من الاخوة رغيفًا من الخبز ليأكل نصفهُ ويعطي النصف الآخر لاخته فاذا رأيت الاول اكل الرغيف كلهُ ولم يعطِ اختهُ شيئًا منهُ وهي تبكي جائعةً والثاني اكل نصف الرغيف واطعم اختهُ النصف الآخر والثالث حرم نفسهُ من الاكل وصبر على الجوع واعطى الرغيف كلهُ لاخته فانك تقول للحال ان الاخ الاول جائر لانهُ فضَّل نفسهُ على اخته ولو دعاهُ حفظ الذات الى ذلك والاخ الثاني عادل لانهُ لم يفضّل نفسهُ على اخته ولا اثرها على نفسه والثالث فاضل لانهُ فضل اختهُ على نفسه. والظاهر ان خُلق الولد الاول هو الخلق الشائع في النبات والحيوان فالنباتات والحيوانات تعنى بحفظ ذاتها ونسلها ولكنها قلما تهتم بحفظ غيرها ولو من نوعها. انظر حبة الحنطة تزرع في الارض فتمتص كل ما تستطيع امتصاصهُ من الغذاء ولو مانت كل حبوب الحنطة التي تزرع حولها من قلة الغذاء ولا يخطر لها ان المصلحة مشتركة بينها وبين اخواتها. وانظر الى اشبال الاسود في بستان الحيوانات والحارس يرمي لها اللحم فكلٌّ منها يختطف كل ما يستطيع اختطافهُ وحالما يلتهمهُ يعتدي على اخيهِ ويحاول اختطاف ما معهُ ولا يخطر ببالهِ ان حال الاثنين تكون اصلح اذا اكتفى كلٌّ منهما بما قسم لهُ

واذا كانت الموجودات الارضية صاعدة في سلم الارتقاء كما هو مذهب اكثر الحكماء الطبيعيين وكان العدل وتفضيل المصلحة العمومية على المصلحة الخصوصية ارقى من الجور وتفضيل المصلحة الخصوصية على المصلحة العمومية واذا كانت الاخلاق والاميال تنتقل بالوراثة كما هو معلوم وتظهر آثار اقدمها اولاً ثم آثر ما تلاهُ في سلّم الارتقاء صح ما قلناهُ عن الطفلين الذين اشرنا اليهما في تقريظنا لذلك الكتاب وهو ان اخلاقهما تتهذب متى كبرا في السن اي تظهر فيهما الاخلاق الفاضلة التي اكتسبها اسلافهما بالاختبار. وهذا كلهُ لا ينقض شيئًا مما قالهُ الدكتور الفاضل عن مسؤلية الوالدين وشرور الهيئة الاجتماعية الحاضرة ولكننا نرجو ان يبقى الارتقاء مستمرًّا فلا يمكث في الارض الاَّ ما ينفع الناس

النوموجرافيا

وكتاب الاستاذ دوكاني

ظهر في هذه الاثناء كتاب رياضي كبير النفع للاستاذ موريس دوكاني الرياضي الفرنسوي المشهور يشتمل على طرق حديثة يستعين بها ارباب الصنائع والفنون من المهندسين وغيرهم على الاعمال الحسابيَّة من غير عمليات طويلة . وقد كتب العالم الرياضي المصري احمد بك كامل وكيل مدرسة المهندسخانة الخديوية مقالة عن هذا الكتاب تليت في جمعية المهندسين المصرية التي عقدت في نادي مخرجي المدارس العليا في ١٦ يناير تلاها المهندس البارع فريد افندي بولاد وقال فيها ما خلاصتهُ

ان المسيو دوكاني هو واضع علم النوموجرافيا اي الحل الرسمي بالنظر وقد الَّف هذا الكتاب ودرَّسهُ في جامعة السربون بباريس في فصل الربيع الماضي وهو جزء من مجموعة الرياضيات التطبيقيَّة من دائرة المعارف الجديدة التي تطبع الآن بادارة العالم الرياضي الشهير الدكتور طولوز . ويشتمل هذا الكتاب على ٣٩٢ صفحة فيها ١٤٦ شكلاً وفيهِ طرق حسابيَّة متنوعة على غاية الدقة والسهولة وهو جزءان الاول يتعلَّق بالحساب بالطرق الرسميَّة وهو عمليات متنوعة تعمل برسوم مكوَّنة من اجزاء هندسيَّة تدل على كميات عددية معلومة ومن هذه الاجزاء يستنتج بالحساب الرسمي مقادير العامل المرتبطة مع هذه الكميات المعلومة بواسطة قوانين او معاملات مخصوصة . ويمكن ان تحل بها المعادلات التي من الدرجة الاولى مهما كان عدد مجاهيلها والمعادلات ذات المجهول الواحد مهما كانت درجتها وعمليات الادخال الرسميَّة (اي تكبير النسبة) . وتحل بهِ ايضاً عمليات التكامل الرسميَّة بدرجات متتالية لدالة واحدة ارسطة دوال (موازل) ويوجد بهِ تكامل المعادلات التفاضلية بدرجة اولى

والجزء الثاني يتعلق بالنوموجرافيا ويشتغل فيهِ بنظرية النوح الرسميَّة الرقية . وفي هذا النوح المعادلات والقوانين التي يطلب حلها ويستنتج منهُ مقدار المجهول بقراءة بسيطة . وفي هذا الجزء ثلاثة ابواب الاول بيان نوموجرافي بخطوط مثلاثية والثاني بيان بنقط على استقامة واحدة والثالث بيان بنقط محاطة على صور مختلفة . وينتهي هذا الجزء بنظرية عمومية تمكَّن بها المسيو دوكاني من حصر الانواع المختلفة في البيان النوموجرافي بتحويلها الى

قوانين بسيطة ذات دوال متعددة. وقد شرح المؤلف البيان النوموجرافي برامسطة النقط التي على استقامة واحدة ووضع فيها كثيراً من المسائل الجديدة

وعلم النوموجرافيا هذا وضعهُ المسيو دوكاني سنة ١٨٩٠ وجعل الآن من دروس كثير من مدارس اوربا والفضل في انتشاره لسهولته ولاسيما لسهولة طريقة النقط التي على استقامة واحدة ولما بذلهُ المسيو دوكاني من الهمة في الاستعانة بالرياضيين ليساعدوهُ في نشر طريقته. وقد شاعت هذه الطريقة الآن وكثر العمل بها حيث تدعو الضرورة الى سرعة الاعمال الحسابيَّة كما في تعديل سير السفن وفي تعيين معالم ضرب النار في الفنون الحربيَّة وما اشبه من الاعمال. مثالهُ ان الطريق الكبير الذي يصل بين تاناريف وموروا منجما في جزيرة مدغشقر يحتوي على ٢٧٥ الف متر مكعب من الحفر والردم و ٤٥ الف متر مكعب من المباني فاستطاع اثنان فقط من المهندسين الحربيين ان يعملا التصميم الابتدائي اللازم لهُ في يومين فقط وذلك باستعمال طريقة النوموجرافيا

وسنة ١٨٩٩ ألَّف المسيو دوكاني كتاباً مطوَّلاً في علم النوموجرافيا وشرح فيهِ كثيراً من التطبيقات العمليَّة. ونشر في العام الماضي مقالة في المجلة العلميَّة العمومية عنوانها تقدُّم الطريقة النوموجرافية بالنقط التي على استقامة واحدة وذكر فيها تطبيقات كثيرة

ومنذ عهد قريب نشر المسيو موريس ليفي رسالة في المجلة العلميَّة العمومية مدح فيها مؤلف المسيو دوكاني احسن مدح وقال فيها ان المسيو دوكاني اشتغل بهذا العلم منذ نحو عشرين سنة فنجح نجاحاً تامًّا وتمكَّن من وضع علم جديد سماهُ علم النوموجرافيا ولم يكتفِ بوضع النظريات العمومية لهذا العلم بل اشتغل بتطبيقها على الاعمال الحسابيَّة التي يلاقيها المهندس في اعماله الاعتيادية وتوصَّل اخيراً الى وضع كتابهِ المشهور الذي نشرهُ سنة ١٨٩٩ فمنحتهُ الجمعيَّة العلمية جائزة بونسليه اعترافاً بفضلهِ

والمسيو موريس ليفي هذا هو مفتش عموم التناظر والجسور بباريس واحد اعضاء الاكاديمي الفرنسوية واستاذ في كلية فرنسا

والخلاصة انهُ سيكون لهذا الكتاب ولهذا العلم شأن كبير في تسهيل الاعمال الحسابيَّة

وختم حضرة احمد بك كمال مقالتهُ ناصحاً المهندسين والمقاولين ولاسيما مَن يشتغل منهم بالاعمال الفنيَّة ليكون عند كلٍّ منهم نسخة من هذا الكتاب ويعمل رسومهُ بنفسهِ اويبتاعها من حيث تباع. وقد بلغنا ان مكتبة دير في مصر جلبت نسخاً من هذا الكتاب النفيس فعسى ان يقتنيهِ المهندسون في الحكومة العامة

العام الماضي

وحالة القطن المالية فيه

ابتدأ العام الماضي والاحوال رائجة والاموال كثيرة في القطر وظواهر الامور تدلُّ على ان العام سيكون من اكثر الاعوام يسرًا ولكن الناس توغَّروا في المضاربة فحسبوا كل ضواحي العاصمة ارضًا صالحة للبناء فاشتروا الصحاري والاطيان الزراعيَّة وقسموها قطعًا وباعوا المتر منها بجنيه او اكثر وبلغ ثمنهُ في بعضها بضعة جنيهات والذين باعوا والذين اشتروا حسبوا انهم ربحوا ربحًا طائلاً والحقيقة انهُ لم يربح منهم الاَّ الذي باع وقبض ثمن ما باعهُ واما الباقون فربحهم وهمي تحوَّل اخيرًا الى خسارة لانهم زادوا نفقاتهم على حسب ما قدَّروهُ من الربح فخسروا ثم لم يربحوا شيئًا

وما جرى من المضاربة في اراضي البناء جرى ايضًا في اسهم اكثر الشركات فما يساوي منها مئة جنيه وليس لهُ ربح او ربحهُ لا يزيد على ثلاثة او اربعة في المئة رفعوا ثمنهُ الى مئتي جنيه او ثلثمئة جنيه او اكثر فظن اصحاب هذه الاسهم والذين اشتروها بثمن معتدل انهم ربحوا ربحًا طائلاً وهم لم يربحوا شيئًا

ولا شبهة ان اللوم الاكثر في ذلك كلهِ على السماسرة الذين رغَّبوا الناس في المشترى وزيَّنوا لهم المحال . وعلى الذين كانوا ينادون ان العاصمة ستتسع في القريب العاجل حتى تصل من حلوان جنوبًا الى المرج شمالاً ومن المقطم شرقًا الى الاهرام غربًا وان ما يباع ضمن هذه المنطقة يجب يصير ثمنهُ بضعة جنيهات او ثلاثة بعد ايام معدودة

لكن الربح والخسارة من هذين العملين اي من المضاربة بالاسهم وباراضي البناء لم يؤثرا في ثروة القطر الحقيقية ولا نظن انهُ خرج بسببهما مال كثير من القطر بل غاية ما نتج عنهما ان النقود خرجت من يد زيد الى يد عمرو من سكان القطر وزاد الاسراف في مشترى بعض الكماليات الواردة من اوربا . واذا استثنينا هذا فثروة القطر زادت في العام الماضي زيادة كبيرة بسبب غلاء القطن واليك ايضاح ذلك

بلغت قيمة الصادرات من القطر المصري في العام الماضي اكثر من ثمانية وعشرين مليونًا من الجنيهات المصرية وعند التدقيق ٢٨ ١٣١٨٥ جنيهًا هذا حسب تقدير الجمارك المصرية وهي تقول انها تقدِّر الصادرات اقل من قيمتها الحقيقية بعشرة في المئة ولكن يظهر لذي امعان النظر انها تقدرها اقل من قيمتها بخمسة عشر في المئة او اكثر فقد صدر من القطن

في العام الماضي ٦٨٥٩٢٣٣ قنطاراً قدّرت متوسط ثمن القنطار منها نحو ٤٠٠ قرشاً مع انهُ لم يبع للخارج بأقل من ٣٨٠ قرشاً الى ٤٠٠ قرش ولذلك لا نبالغ اذا قلنا ان تقدير الجمارك ينقص عن الثمن الحقيقي ١٥ في المئة فتكون قيمة الصادرات الحقيقية أكثر من ٣٢ مليوناً من الجنيهات

اما الواردات فبلغ ثمنها ٢٩ مليوناً من الجنيهات وعند التدقيق ٢٦١٣٠٧٧٧ جنيهاً وادارة الجمارك تدقق جداً في تثمينها وتراجع دفاتر التجار اذا ارتابت في ثمنها ولذلك فقيمة الصادرات زادت على قيمة الواردات ستة ملايين من الجنيهات. وهذه الستة الملايين تكفي لايفاء فائدة ديون الحكومة وديون الاهالي لاوربا فيكون القطر المصري قد خرج من سنة ١٩٠٧ وليس لهُ شيء ولا عليهِ شيء هذا اذا قصرنا نظرنا على قيمة الصادر والوارد وفوائد ديون الحكومة والاهالي المطلوبة منا لاوربا لان ثمن الصادر كفى لايفاء ثمن الوارد وفوائد الديون

يبقى امران حريان بالنظر الاول ان عندنا ابواباً اخرى للايراد غير ثمن الصادرات وهو كل ما ينفقهُ السياح في القطر المصري وكل ما تأخذهُ مصلحة الموانى والمنارات وفوائد الاوراق المالية التي عند الحكومة وعند الاهالي ويطرح من ذلك ما ينفقهُ اهالي القطر حينما يسافرون الى اوربا او غيرها. ولعل الباقي للقطر المصري من ذلك كلهِ اكثر من مليون جنيه في السنة فهو ربح صافي لهُ

والامر الثاني ان جانباً كبيراً من الواردات التي وردت في العام الماضي ليس بضاعة مستهلكة بل هو مواد ثابتة او رأس مال ذو ربح. ويدخل في ذلك خشب البناء وثمنهُ نحو مليون وثلث والآلات الهندسية كوابورات الري والحرث وابورات سكك الحديد وعرباتها وثمن ذلك نحو اربعة ملايين من الجنيهات فهذه خمسة ملايين وثلث من الجنيهات دفعناها في العام الماضي ثمن مواد ثابتة اضيفت الى ثروة القطر وبعضها رأس مال لهُ ربح سنوي كبير

ولذلك يحق لنا ان نقول ان القطر المصري خرج من سنة ١٩٠٧ وايراداته تزيد على مصروفاته ستة ملايين من الجنيهات اضيفت الى ثروته العمومية هذا فضلاً عما زاد في ثمن الاراضي التي اصلحت وثمن الاراضي التي عملت فيها الاعمال المستجدة

وهنا يسأل سائل قائلاً اذا كان الامر كذلك فلماذا هذه الضيقة المالية التي نراها في القطر المصري الآن. والجواب ان الضيقة المالية ليست ناشئة من فقر القطر المصري بل من

قلة النقود فيه فان الرجل الذي يملك اطيانًا تساوي مئة الف جنيه قد يحتاج الى مئة جنيه ويشعر بضيقة شديدة اذا لم يجد سبب قلة النقود فواضح من تقرير الجمارك التي صدر في اواخر يناير في سنة ١٩٠٦ دخل القطر المصري نحو ٩ ملايين من الجنيهات وخرج منهُ نحو مليونين من الجنيهات فبقي فيهِ سبعة ملايين من الجنيهات . واما في السنة الماضية فدخل القطر المصري ٧ ملايين و ٧٦٨ الف جنيه وخرج منهُ ٤ ملايين و ٧٣٦ الف جنيه فبقي فيهِ ثلاثة ملايين جنيه فقط اي اقل مما بقي فيهِ سنة ١٩٠٦ باربعة ملايين جنيه . وقد قلَّ ورود الذهب على القطر المصري وزاد خروجهُ منهُ لسبب غلائهِ في اوربا واميركا فان البنوك تتاجر بالذهب كما يتاجر التجار بالقمح والفول وهذا هو السبب في قلة ورود الذهب على القطر المصري وكثرة صدورهِ منهُ في العام الماضي

اما قلة ورودهِ فلا حيلة لنا فيها واما كثرة صدورهِ من القطر فكان الواجب على الحكومة ان تهتم بمنعها كما تمنع خروج القمح من القطر اذا خافت ان يحدث فيهِ مجاعة ولكنها لم تهتم بهذا الامر ولعلها لم تنتبه لهُ ايضًا فقد أُرسل الى الهند في العام الماضي مليون و٧٢٦ الف جنيه ويقال ان البنك الاهلي هو الذي ارسلها فان كان الامر كذلك وكان للحكومة سلطة عليهِ فتكون قد قصَّرت في ما يجب عليها نحو بلادها لانها لم تمنعهُ عن اصدار الذهب الى بلاد الهند . وعسى ان تنتبه لذلك في المستقبل

وربَّ قائل يقول ان كان الذهب الوارد في العام الماضي قد زاد على الذهب الصادر ثلاثة ملايين من الجنيهات فاين هذه الثلاثة الملايين واين الذهب الذي فضل معنا في العام الذي قبلهُ والذي قبلهُ . والجواب ان بعضهُ لم يزل محفوظًا في البنوك او مذخورًا عند الاغنياء وغيرهم وبعضهُ صنع حلى تحلت بهِ النساء والبنات كما ابنا في الجزء الماضي

والخلاصة ان القطر في يسر وقد زادت ثروتهُ ستة ملايين من الجنيهات في العام الماضي فضلاً عما زاد في ثمن ما أُصلح من اطيانهِ ولو استطاعت الحكومة ان تقلل اصدار الذهب منهُ لما اشتد علينا العسر المالي الذي يشكو الناس منهُ الآن

اما وقد وقع العسر فصار على الحكومة ان تداويهُ بالتي هي احسن وقد فعلت شيئًا من ذلك فجعلت البنك الاهلي يقرض البنك الزراعي مليون جنيه لتدين لصغار الفلاحين ولكن الضيقة المالية اصابت البعض من كبار ارباب الاطيان وهؤلاء لا تفرج كربتهم بالمبالغ التي يدينها البنك الزراعي لانهُ لا يدين الواحد اكثر من الف جنيه . وقد اشار بعض الماليين عليها ان تسلم البنك العقاري بعض الاوراق المالية التي في خزائنها فيستدين عليها

نقوداً من اوربا ويمدّها القطر على جاري ما يصرفه الحكومة ثمن هذه الاوراق وفوائدها في بضع سنوات. والذين ارتأوا هذا الرأي يخشون ان هبوط ثمن الاطيان ان لم تفعل الحكومة ذلك. ولكننا لا نظن ان ثمن الاطيان يهبط لانه لم يزد حتى الآن عما يجب ان يكون عليه فان الاطيان التي تزرع كلها تباع بالنسبة الى ريعها حتى يكون الربح اربعة او خمسة في المئة من الثمن والاطيان البور او التي لا تزرع كلها تباع بالنسبة الى ما تصير اليه بعد اصلاحها فالفدان الذي يصير صافي ايجاره خمسة جنيهات في السنة اذا أُنفق عليها عشرون جنيهاً لا يكون غالياً اذا بيع بستين او سبعين جنيهاً وهو يباع حتى الآن باقل من ذلك. واذا اضطرّ افراد قلائل الى بيع اطيانهم بثمن يحس لحاجتهم الى النقود لم يكن ذلك داعياً لرخص سائر الاطيان لان هذا المبدأ لا يصدق الاّ على البضائع التي تعرّض كثيراً للبيع واما المتلكات التي تنتقل بالارث وتوقف عليها معيشة السكان فقلما تعرض للبيع لاسيما ان الاطيان رأس مال الفلاح والآلة التي يعمل بها ليعيش منها ولذلك تراهُ يشتريها مهما كان ثمنها اذا تيسّر معهُ هذا الثمن كلهُ او بعضهُ. ولكن الضرر الذي يرجى وقوعهُ هو التوقف في اصلاح الاطيان وبناء الاراضي ومن ذلك ضرر كبير يجب منعهُ فان كثيرين اشتروا اراضي باثرة قصد اصلاحها وكانت العادة ان يستغلوا من البنوك الاموال اللازمة للاصلاح ويقسطوها الى سنين كثيرة ثم يستغلّوا منها ما يوفون به الاقساط فاذا ضنّت البنوك عليهم بالمال اللازم لذلك ضاع عليهم ربح الثمن الذي دفعوهُ. ولا يخفى ما في ذلك من الخسارة الكبيرة على القطر لا سيما وان تزايد سكانهِ يستلزم ان تزيد مساحة اطيانهِ الزراعية مئة الف فدان كل سنة ولا تقلّ نفقات اصلاح الفدان عن خمسة عشر جنيهاً فمائة الف الفدان تستلزم مليوناً ونصف مليون من الجنيهات

وما يقال عن الاراضي الزراعية يقال عن اراضي البناء فان اكثر الذين بنوا المباني الكبيرة في التوفيقية والاسماعيلية وشارع الظاهر كانوا يبتاعون الارض ويستدينون النقود من البنك الزراعي وبنوها بها. وقد اشترى كثيرون اراضي من هذا القبيل في العام الماضي حاسبين انهم يستطيعون ان يستدينوا النقود ويبنوها فاذا لم يوفّقوا الى ذلك فالثمن الذي دفعوهُ يخسرون ربحهُ ويضطرون اخيراً ان يبيعوا الارض بخسارة والضرر من ذلك كبير ولو كان دون الضرر من التوقف عن اصلاح الاراضي الزراعية. اما الذين ضاربوا وخسروا بالمضاربة فلا سبيل لرد خسارتهم وما لومهم الاّ على انفسهم لانهم طمعوا او صدّقوا الذين خدعوهم

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام والملابس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

كيف تصير قويًّا

٣

ادلة محسوسة على منافع الرياضة

يقولون " الصحة تاج على رأس الاصحاء " ولكن الرياضة اليومية القانونية هي التي تعد تلك الصحة وتهيئها فتزيد الاصحاء همة ونشاطًا على مزاولة الاعمال وتقوي مداركهم وتطيل اعمارهم وتشفي امراضًا في الشفاء الاعلاء وتشدد عزائمهم وتقوي ابدانهم مهما كانت اعمارهم ولكن الاصغر سنًّا يستفيد منها اكثر من هو اكبر منهُ

فمن منافعها ما عاينَاهُ وسمعنا بهِ عن مشاهير الرجال الذين طبقت سمعتهم الآفاق لسعة مداركهم وثاقب افكارهم وأصالة آرائهم وجودة قرائحهم وقوة ابدانهم واليك امثلة تنطبق هذه الاوصاف عليها ان لم يكن كلها فجلها

فغلادستون عميد السياسة وابن بجدة الخطابة كان مولعًا بتشقيق الحطب وتهذيب الشجر فكانت مهارتهُ فيهما تضارع شهرتهُ في ضروب السياسة ومآخذها . وهذه الرياضة البدنية جعلتهُ يربي على الثمانين وهو كالشبان عافية وهمة وادراكًا وليست خطبهُ الرنانة التي كان يلقيها في مجلس النواب وهو في ذلك السن بعيدة العهد لنساها فلم تكن تبدو عليهِ وهو يلقيها آمارات ضعف في وقوفهِ وحركاتهِ او فتور في قواهُ العقلية . قيل انهُ كان اذا سئم الاشتغال بالسياسة او ملَّ البقاء في لندن مضى الى قصرهِ في هاردن حيث يقيم بضعة ايام يقلم اشجار السنديان في حراجهِ

وذكنس الروائي الشهير كان شديد الشغف بالمشي فيسير تسعة اميال او عشرة قبلما يتناول طعام الصباح . وكثيرًا ما كان يمشي خمسة وعشرين ميلاً مشيًا حثيثًا ولكنهُ كان نهمًا في الاكل ولولا شراهتهُ هذه لطال عمرهُ ولم يمت في سن يطلب فيهِ ان يكون ارباب القلم في زهوة اشتغالهم بالعلم والأدب

وقال مكترن الاستاذ المشهور بتعليم الرياضة في كتابهِ عنها انهُ اختبر تدريب اثني عشر صف فبلغ تفاوت اعمارهم بين التاسعة عشرة والتاسعة والعشرين فقبل شروعهِ قاس عرض صدورهم وسعة اكتافهم وتحيط ذرعهم وغيرها وكان يعيد القياس حيناً بعد حين فوجد من غاد الاذرع وكبر الاكتاف واتساع الصدور ما يقضي بالعجب . فانهُ بعد اربعة اشهر فقط ضاقت ملابس معظمهم وما عاد في استطاعتهم تبكيل ازرارها ولم يمض عليهم الشهر الخامس حتى اضطر ان يرسي لهم بصنع ملابس جديدة . وانهُ ليأخذ القارئ العجب متى علم ان صدور بعضهم زاد اتساعها خمس عقد . وان زيادة كهذه عظيمة الفائدة ونفعها للقلب والرئتين لا يثمن . ثم ان سائر اعضاء اجسامهم قويت ونمت نمواً متناسباً . ولم يقتصر على القياس في بدء تدريبهم بل صوَّرهم وعاد فصورهم بعد خمسة اشهر فكان الفرق بين الرسمين عظيماً ولا سيما في اصغرهم سناً . على ان هذا النمو لا يعد شيئاً مذكوراً في جانب ما دبَّ فيهم من الهمة والذكاء والصبر على احتمال المشاق

وذكر هذا الاستاذ ايضاً انهم جاؤوهُ بشاب وقف نموهُ زمناً لعلة اصابتهُ فكان طولهُ خمس اقدام وعقدتين فجعل يدربهُ على الرياضة فما بلغ الحادية والعشرين حتى صار طولهُ خمس اقدام وست عقد وانموهُ بغلام تأخر نموهُ بسبب سقوطهِ من مكان مرتفع فما راض جسمهُ تسعة اشهر فقط حتى نما تسع عقد

ومن الادلة ايضاً ان الشاعر المشهور وليم كلن بريَنت مات في الرابعة والثمانين وعينهُ لم يغب عنهُ وقوتهُ الجسدية لم تفارقهُ لمزاولتهِ الرياضة . واليك ما بعث بهِ الى صديق لهُ قبل موتهِ قال : —

سيدي العزيز

وعدتك ان اذكر لك بعض عاداتي ولا سيما ما يتعلق بالاكل والرياضة والعمل ولكنني غير واثق انها تنفعك كما نفعتني فان ممارستي لها عدة سنين شددت عزائمي وانالتني امنيتي . فقد طعنت في السن وانا لا اشعر بعجز عن العمل ولا ضعف في البدن وكلاهما يستوليان عادة على المعمرين . فقوتي لم يعترها وهن وهمتي لم تخر واعضاء جسمي ولا سيما الداخلية منها قائمة بوظائفها كانني لا ازال حدثاً وهاك الخطة التي سرت عليها اعواماً عديدة . انهض من فراشي دفعة واحدة نحو الساعة الخامسة ونصف فابدل ملابسي وارتاض مستعملاً في الغالب ما يوسع الصدر . والادوات التي اتروض بها كرات حديدية ومخل وعصاً من الحديد مركزة افقياً على ارتفاع من الارض وكرسي خفيف اديرهُ بذراعيَّ حول رأسي فارتاض نحو ساعة

ثم استحم واذا كنت في الريف تروضت نصف ساعة وعملت في الحقل نصف ساعة ثم استحم واتناول طعامي . وكثيرًا ما كنت امشي نحو ثلاثة اميال الى حيث عملي فاشتغل ثلاث ساعات واعود ماشيًا غير مبالٍ بمطر او حرّ واذا سئمت التأليف والتصنيف اندفعت بكليتي الى الهواء استنشاقًا لنقي الهواء او قصدت حديقتي حيث اقلّم اشجار الفاكهة ثم اعود الى عملي العقلي ولا اركب المركبات الاَّ نادرًا لانني افضل المشي المروض للجسم على ركوبها

وارسل صديق لهذا الشاعر كتابًا عنهُ الى احدى الصحف قال فيهِ : — عرفت المستر برينّت منذ اربعين سنة ولا اتذكر ان مرضًا اعتراهُ في اثنائها او انهُ لزم فراشهُ يومًا الاَّ في مرضهِ الاخير الذي قضى فيهِ . ولم يكن يسير الى مكان عملهِ الاَّ ماشيًا حتى في آخر سنة من عمرهِ وكان يتروض يوميًّا ولم تكن قريحتهُ تجود نظمًا ونثرًا الاَّ بعد الارتياض

***

فاي فتًى او فتاة يطّلع على هذه الحقائق ولا يودّ ان يخص ساعة او ساعتين من يومهِ بترويض جسمهِ ترويضًا ينيلهُ صحة وعافية فتصير قدماهُ ثابتتين ورجلاهُ قويتين وعضلاتهُ متماسكة متناسبة ومشيهُ رشيقًا وهضمهُ جيدًا وهمتهُ عالية وعزمهُ شديدًا وخاطرهُ سريعًا . ولرب قائل يقول الا يأتي العمل الجسماني العادي بالمنافع التي تنشأ عن الرياضة البدنية . والجواب ان ضروبًا كثيرة من الاعمال التي تقضي بتمرين الجسم تزيد الشهية الى الطعام وتقوي الهضم وتحدث منافع اخرى . ولكن الذين يعملون اعمالاً بدنية لا يسلم احدهم من عيب فقد يكون الجسم فاقد الهندام غير متناسب الاعضاء وربما بلغ هذا العيب مبلغًا يقبح القامة فالفلاح او العامل الذي يقضي عليهِ بالانحناء الى الامام لركس الارض او تمهيدها او الحفر فيها وما شاكل ذلك تستدير اكتافهُ وتنمو عضلات ظهرهِ نموًّا غريبًا فيتقوس ويحدودب لان عضلات صدرهِ لا تنمو الاَّ نموًّا قليلاً ولذلك نرى الذين تجاوزوا منتصف العمر من امثالهِ مستديري الاكتاف منخفضي الصدور منحدبين . والحداد تقوى ذراعهُ اليمنى والجانب الايمن من صدرهِ فتفقد قامتهُ رونقها واعتدالها . والارتية يزاولون التقذيف فتنمو عضلات ظهورهم وسواعدهم وتبقى العضلات العليا من ادرعهم وصدورهم ضعيفة فتنجذب اكتافهم الى الامام وتعوج اعناقهم وتتعقد او تيبس لانها تداوم القبض على المقذاف . ومعظم العمال الذين يعملون اعمالاً بدنية يفقدون الظرف في مشيهم وحركاتهم فيجب عليهم أن يروضوا اجسامهم رياضة قانونية حتى يجيء نمو اعضائهم متناسبًا فالرياضة واجبة للعامل وجوبها للعالم والكاتب

سنت لعاب الرياضة

يتوهم الاكثرون ان من يروض بدنهُ مضطر الى شراء آلات وادوات غالية الثمن وافي تخصيص مكان لها وهذا ما ينبو عن تأييد واقعهم عن استعمال الرياضة فنفياً لهذا الوهم نقول ان اعظم ادواتها نفعاً اجسامنا ثمناً . فنذكر بعض تلك الادوات او المعدات ولكن يجب ان تكون الرياضة في حديقة او حجرة صحية طلقة الهواء

علق بكرتين كبيرتين من الحديد او الخشب على ارتفاع مترين او اكثر و مرر على كل منهما حبلاً واربط بالطرف الواحد من كل منهما اثقالاً واربط مقبضين من الخشب بالطرفين الاخرين وامسك المقبضين بكفتا يديك واسحب الحبلين وارخهما كمن يدق جرساً وافعل غير ذلك مما يخطر على بالك وترى فيه نفعاً

اشتر عيارات مختلفة من الحديد تكون زنتها من رطل الى عشرة ارطال وشلها بها بحيث ثم يسهل مراراً كثيرة ويمكن الاستعاضة عنها بالحجارة او باكياس من الرمل

الدمبلس كرتان من الحديد بينهما مقبض حديدي ووزن كل منهما يختلف على طول مدة التمرين من خمسة ارطال الى اثني عشر رطلاً تمثل باليد مراراً متوالية وذلك من انفع انواع الرياضة لتقوية الذراعين وتوسيع الصدر وسنشرح طرق استعمالها

وهناك ادوات اخرى يستنبطها من يتعود الرياضة من تلقاء نفسه ستأتي البقية

رحمة صروف

الشب الابيض لمنع العث

كتب بعضهم الى السيناتور اميركان يقول : قال هولند في كتابهِ الذي وضعهُ حديثاً عن العث ان ما يتلفهُ العث من الثياب سنوياً في الولايات المتحدة يكفي ثمنهُ لايفاء ديون الحكومة الاميركية

ولا يخفى ان فراش العث بيض في الفراء والبسط والثياب الصوفية والحريرية وينتف بيضهُ عن دود الحش البسط والثياب والفراء وينلفها . ولما كنت ساكناً في بلاد النمسين رأيت العث كثيراً في بيتي فجربت مواد كثيرة ظنتها تقي الثياب منهُ فوجدت ان الشب الابيض يقي بالمطلوب فاذبتهُ في الماء وبللت بهِ خيطان الصوف الغليظة وعلقت بها الصور الثقيلة وتركتها ثلاث سنوات ثم ضربتها العث . وبللت بهِ خيوطاً صوفية مختلفة الالوان مما كنت استعملهُ لامتحان خيوط النسيجين في رؤية الالوان وكنت اتتبع كل لون منها على

حدة ثم نشفتها وتركتها حيث بكثر الث سنتيمتر فلم يصل اليها وبللت بهِ منسوجات صوفية خفيفة وتركتها مدة طويلة فوقاها كتب من العث

ومعلوم ان الشب الابيض لا يتبخر فيبقى على المواد الصوفية وتكون مقدارهُ قليلاً جداً. والرطل من الشب يذاب في ثمانية ارطال من الماء ولو اتفق فاتجر المنسوجات الصوفية وسافر البسط على معالجتها بالشب الابيض لوقايتها من العث لاستطاعوا ان يزيدوا في ثمنها اكثر مما انفقوا على معالجتها ونجا الناس من آفة تتلف ثيابهم وبسطهم واثاثهم ما يتنافسون بهِ

البيض وحفظهُ

بلغ عدد البيض الصادر من القطر المصري في العام الماضي ٦٦ مليوناً ٣٣٢ الف بيضة وبلغ ثمنها التي ثمنت بهِ في الجارك المصرية ٩٩٤٩٩ جنيهاً اي كل نحو ست بيضات بقرش. وباع البيض المصري في بلاد الانكليز المئة وعشرون بيضة باربعة شلينات ونصف الى خمسة شلينات كأن كل خمس بيضات بقرش فهو ليس اغلى هناك مما باع في القطر المصري بالمفرق مع ما يضاف اليهِ من اجرة الشحن وربح التجار والخسارة بما يكسر منهُ ويتلف في الطريق ولو عدل بائعوهُ ومشتروهُ لوجب ان لا يزيد ثمن العشر بيضات منهُ على قرش صاغ المتوسط ولكن اسعار المأكولات لا ترتبط بقاعدة غير قاعدة الموجود والمطلوب فاذا كثر الموجود منها وقلَّ المطلوب رخصت واذا قلَّ الموجود وكثر المطلوب غلت . ولو اهتمَّ الناس بالاكثار من تربية الدجاج واعتنت الحكومة باستئصال شافة الداء الذي فتك بها حديثاً لكثر البيض ورخص وكانت منهُ تجارة رابحة فان الانكليز وحدهم يستوردون في السنة من البيض ما ثمنهُ ستة ملايين ونصف من الجنيهات اكثرها من روسيا فاذا استطعنا ان نرسل اليهم سدس ما يستوردونهُ بلغ ثمنهُ مليون جنيه في السنة . والبيض المصري ليس جيداً كالبيض الاوربي الكبير الجرم الطيب الطعم ولكن الكثير منهُ يستعمل في الصناعة كما في عمل كفوف الجلد

اذا سلق البيض وجد فيهِ جزء فارغ ويكون هذا الجزء صغيراً جداً في البيض الجديد او لا يكون موجوداً بل تكون البيضة مالئة قشرتها واما في البيض القديم فيكون الجزء الفارغ كبيراً وكلما زادت البيضة قدماً زاد هذا الجزء الفارغ كبراً الاَّ اذا دُهنت عادة تدهُ مام قشرتها وهي جديدة حتى لا يعود الهواء يدخل اليها ويحللها ويفسدها ولذلك يعرف هل البيضة جديدة او قديمة من اتساع هذا المكان الفارغ . وقد يعرف ذلك قبل ان تسلق بالقبض عليها في راحة اليد وتخاليتها امام الشمس او امام قنديل ساطع النور فيرى المكان

الفارغ فيهِ وهل هو كبير او صغير . واذا كان البيض قد بقي مدة شُمت دجاجة فاخذ الفرخ يتكوَّن فيهِ فلا يموت في محو نقطة سوداء

والبيضة الجديدة تكون شفافة وتبقى كذلك ثلاثة ايام ثم يخرف محوها الى جانب اذا كانت موضوعة على جنبها وتقلُّ شفافيتها رويداً رويداً واذا تعذَّر امتحان البيضة امام القنديل او امام الشمس فامتحنها بالطز في يدك فاذا لم تشعر بحركة داخلية فيها فهي جديدة او ليس عمرها اكثر من اسبوع واذا كانت قديمة شعرت بحركة ما فيها ووقوعه من جهة الى اخرى كأن جانباً منها فارغ وزلالها وصفارها يتحركان بالطز . ويستطيع البعض ان يميزوا بين البيض الجديد والقديم من رؤيته فان البيضة الجديدة يكون ظاهرها مشرقاً وهذا الاشراق يزول في البيض القديم

ثم ان البيض المحفوظ في الظلام في مكان بارد تقي اغواده يبقى سليماً ثلاثة اسابيع او اكثر ويكون اسلم من البيض الذي يعرض في الشمس او في النور الساطع ولو بضعة ايام

ويحفظ البيض زماناً طويلاً اذا دهن بالسائل المعروف بالزجاج المائي فانهُ يبقى كما كان لما وُضع فيهِ تقريباً فاذا كان جديداً بقي جديداً ولم يتغير الاَّ قليلاً جداً حتى لو بقي ستة اشهر في الزجاج المائي لم تجد فرقاً بينهُ وبين البيض الجديد

والبيض غير المطبوخ اسهل حفظاً من البيض المطبوخ فاذا كان المراد من البيض ان يباع ويؤكل فلا داعي لوجود الديوك مع الدجاج فانها مكلفة متعبة ومتى كانت موجودة صار البيض اسهل فساداً

والزجاج المائي سائل شفاف كالشراب يمزج عشرة دراهم منهُ بتسعين درهماً من الماء وقد يكفي ان يمزج ثلاثة دراهم منهُ بسبعة وتسعين درهماً من الماء اي ان يكون من ثلاثة الى عشرة في المئة بالنسبة الى الماء . ويكون صندوق خزنة البيض حياض من الخشب يسع الحوض منها ٤٠٠٠ بيضة . ويمكن ان تقوم البراميل مقامها اذا نظفت جيداً بنقعها في الملح والصودا وبرفع البراميل على حجرين يرتفعان عن الارض حتى يجري الهواء تحتهُ ولا يبلى . وينقع البيض في مذوب الزجاج المائي في الحوض او البراميل والبعض يفضلون ماء الجير (ماء الكلس) على الزجاج المائي لان البيض يبقى فيهِ نظيفاً ويخرج منهُ بشكل كالصفاة

وتشر البيض الذي حفظ في الزجاج المائي يكون صقيلاً واما الذي حفظ في ماء الجير فيصير رقيقاً خشناً . ثم اذا سلق البيض المحفوظ في ماء الجير او الزجاج المائي انشق من نفسهِ لان مسامهُ تكون مسدودة . يمنع انشقاقهُ بثقبهِ قبل سلقهِ بابرة او دبوس حتى لا ينشق

باب الزراعة

الخزانات وموسم القطن

تابع ما قبلهُ

واذا عُلي الخزان على ما تقدَّم (اي ستة امتار فقط) لم تضطر الحكومة الى انفاق ٢٥٠٠٠٠ جنيه على الهويس بل تركتهُ لانهُ عمل لا ريع لهُ . وقد اشرت في تقريري الاول عن الخزان الذي نشرتهُ سنة ١٨٩١ الى ان وجود هذا الهويس يتوقف على انشاء سكة الحديد بين سواكن والخرطوم وقد تمَّت هذه السكة الآن فلم تبقَ فائدة من الهويس فيتوفر من الاقتصار على عملية الخزان ستة امتار ٦٠٠٠٠٠ جنيه ومن ترك الهويس ٢٥٠٠٠٠ جنيه والجملة ٨٥٠٠٠٠ جنيه تكفي لاكثر من نصف النفقات اللازمة لانشاء خزان على البحر الابيض يخزن فيهِ ثلاثة مليارات من الامتار المكعبة تسد بها حاجة القطر المصري الى المليارين وحاجة القطر السوداني الى نصف المليار من الامتار المكعبة . وهاكم تفصيل ذلك

يتألف النيل عند الخرطوم من اقتران البحر الازرق بالابيض اما البحر الازرق فلهُ اسم واحد من مصدره في بحيرة صانا في بلاد الحبشة الى نهايتهِ في الخرطوم اما البحر الابيض فلهُ اسماء كثيرة ومنها اسم بحر الجبل حيث يقطع البطائح التي فيها السد اما انا فقد اطلقتُ عليهِ اسم البحر الابيض فقط في هذه الخطبة من مصدره في بحيرة فكتوريا الى نهايتهِ عند الخرطوم

ومصادر البحر الابيض الحقيقيَّة هي بحيرة فكتوريا وبحيرة ڤوغا وبحيرة البرت نيانزا وكلها مجموع من الخزانات . وحينما يخرج البحر الابيض من بحيرة البرت يكون غالبًا على اوطاره في شهر ابريل ثم يزيد رويدًا رويدًا حتى يبلغ اعلاهُ في نوفمبر والفرق قليل بين اعلاهُ واوطاره هناك لان البحيرات الاستوائية تعدِّله وقلما يجري فيهِ اقل من ٦٠٠ متر مكعب او اكثر من ١٠٠٠ متر مكعب في الثانية من الزمان

ويجري من بحيرة البرت الى نيمولا مسافة ٢٢٠ كيلومترًا في مسيل واسع جدًّا ويكون

ماؤهُ صافٍ بطيءُ السير وطريقهُ كثير الجزائر وغابات البردي وحيثما يقرب من نيمولا يضيق مجراهُ ويتكتف على زاوية قائمة ويدخل مضيقاً صخرياً طولهُ ٥٠ كيلو متراً وعرضهُ ما دعا الذين شاهدوهُ اولاً من العرب الى تسميتهِ بحر الجبل . والصخر هناك من الغرانيت وهو يصلح لان يبنى عليهِ سد والعمل قليل الكلفة لانهُ لا يلزم ان ينصبَّ منهُ اكثر من ١٢٠٠ متر مكعب في الثانية وقد وقفت هناك ساعات انظر الى ذلك المشهد واري بعيني الخيال ما سيعمل فيهِ من الاعمال في المستقبل

وبعد خروج البحر الابيض من نيمولا تصبُّ فيهِ غدران كثيرة تزيد ماءهُ كثيراً في زمن الفيضان ولكنها لا تزيدهُ كثيراً في غير زمن الفيضان ونصل بعد ذلك الى غندكرو حيث يجري فيهِ ٢٥٠٠ متر مكعب في الثانية زمن الفيضان ولا يجري فيهِ اقل من ٦٠٠ متر مكعب في الثانية زمن التجاريق ولذلك يمكننا ان نعتمد على ٦٠٠ متر مكعب في الثانية عند غندكرو وكأننا لم نخسر شيئاً من المياه التي ترد من البحيرات الاستوائية اما بعد غندكرو فتتغيَّر الحال فان البحر يسرع في جريانهِ من هناك الى بور مسافة مئتي كيلو متر ومجراهُ في وادٍ واسع وقلما يفقد شيئاً في زمن التجاريق ولكن تخرج منهُ مجارٍ جانبية تصبُّ في البحيرات والمنخفضات التي على جانبيهِ اذا زاد ماؤهُ ويمكننا ان نقول انهُ يجري فيهِ دائماً لا اقل من ٥٥٠ متراً مكعباً في الثانية اي انهُ يخسر قليلاً من مائهِ وذلك الوادي مملوء بالاعشاب الكبيرة والصغيرة حيث الارض جافَّة او الماء قليل وبالبردي حيث الماء عميق

ومن بور الى قرب غمبا شمبا ٢٠٠ كيلو متر يخرج البحر الابيض من الاراضي العالية ويجري في مجراهُ ضمن ضفتين مكونتين من الرمل المغطى بالاعشاب ولا يتعداها الاَّ في زمن الفيضان وفيهِ هناك كثير من المجاري الجانبية يجري الماء فيها الى المنخفضات حيث يختزن فلا يضيع كلهُ ولكن جريانهُ في هذه المجاري زمن التجاريق خسارة كبيرة وما دمنا نرى الاعشاب فالماء يجري على ارض ويمكن التحكم في مجراهُ

ومن شمبا شمبا الى بحيرة نو مسافة ٤٠٠ كيلو متر البلاد بلاد السد وتجد البردي ناميا في كل جهة منها وهو ينمو ولو كان عمق الماء خمس اقدام ويعلو خمس اقدام اخرى فوق وجههِ ومجراهُ دائماً قادراً على سد مجرى الماء فسقيا للبحيرات الكبيرة التي تستطيع ان تختزن من الماء ما يكفي البحر الابيض زمن التجاريق ويبقى مجراهُ مفتوحاً مع وجود هذا البردي فيهِ . ولا يقيم الانسان في تلك الجهات طويلاً حتى يصير يكره نبات البردي كرهاً شديداً بعد ان يكون قد سرَّ بمرآهُ حينما وقع نظرهُ عليهِ اولاً . ومن الغرائب التي تشاهد في هذا المكان الغريب

ان النار تفظرم في غابات الاعشاب الخضراء اميالاً بعد اميال كانها القش اليابس . ويغيب عنا هنا منظر الارض ووجهها المكسر بالنبات الاخضر

ولكننا نرى فيها احياناً شجيرات واعشاباً دميمة فيبتهج النظر برؤيتها . وتنتشر المياه في تلك البطائح صيفاً وشتاء بين غابات البردي . اما البحر الابيض نفسهُ فيبقى في مجرى سعتهُ من خمسين متراً الى مئة متر وعمقهُ خمسة امتار ويسير شمالاً في طريق متعرج تضيق منهُ النفس حتى يودُّ المرُّ لو وجدت هناك كراكة لتقطع تلك المنحنيات وتخط للماء طريقاً مستقيماً فيقيم عليهِ ولو اكلهُ الناموس . والغالب ان يرى في منعطف كل منحنى بحيرة ولا يعلم المرُّ هل تضر تلك البحيرات بتعريضها الماء للتبخر او تنفع بخزنها اياهُ الى حين حاجة النيل اليهِ حينما يقلُّ ماؤهُ . فالماء الذي في هذا المجرى غير قليل ولو كثرت تعاريجهُ ولذلك اوافق السر وليم جارستن في ما كتبهُ اولاً عن البحر الابيض حيث اشار باصلاح مجراهُ والاحتفاظ بهِ لان اهمالهُ وتركهُ قد يفضيان الى مصاعب لا يمكن التخلص منها فقد قيل ان نحساً تعرفهُ خير من جيد لتعرف بهِ

الى هنا كان البحر الابيض يجري من الجنوب الى الشمال . وعند بحيرة نو يلتقي بهِ بحر الغزال فيجيء من هناك شرقاً والماء الذي يجري بحر الغزال الى البحر الابيض قليل ولكن ماءهُ وماء نواصره يملآن المنخفضات والمستنقعات التي هناك ولولا ذلك لجفَّ ماء البحر الابيض احياناً ولم يصل منهُ شيء الى الخرطوم . وما البحر الابيض كلهُ سوى خزان طبيعي للماء يخزنهُ في بعض الاماكن ويريقهُ في غيرها

ويجري البحر الابيض شرقاً مسافة ١٣٠ كيلومتراً بعد تركهِ بحيرة نو ويكون عرضهُ اولاً ١٠٠ متر فيتسع رويداً رويداً حتى يصير عرضهُ ٤٠٠ متر ويفارقهُ البردي هنا وهناك واطنان ولكنهما تظهران حينما يكون ماؤهُ قليلاً ويمكن التحكم بهِ وقتما يقل الماء حتى لا يذهب شيء منهُ ضياعاً

والماء الصيفي الذي قلما يقل عند غندكرو عن ٦٠٠ متر مكعب في الثانية ويبلغ احياناً ٩٠٠ متر مكعب في الثانية يقل هنا حتى يبلغ ٣٠٠ متر مكعب في الثانية في سني الشح و ٤٥٠ متراً مكعباً في الثانية في سني غزارة الفيضان اي ان نصف الماء الجاري من البحيرات الاستوائية يضيع بين غندكرو ونهر السبت . فيجب ان تفعل الكراكات العجائب في تلك الجهات . والماء الجاري في النهر يصير قادراً على تعميق مجراهُ وتوسيعهِ وقد قال السر وليم جارستن ان الماء نفسهُ يوسع مجراهُ حالما يزول السدُّ من طريقهِ

ويلتقي البحر الابيض بنهر السبت بعد ان يجري في مسيل عرضهُ ٤٠ متر وعمقهُ ٣ امتار بانحدار قليل وضفتين واطئتين يسهل على الماء ان يطغى عليهما ثم ينحرف شمالاً ويكون لون مائهِ ضارباً الى السمرة على مدار السنة قبل التقائهِ بنهر السبت . وماء السبت لا يحمل كثيراً من المواد في زمن الفيضان لانهُ يترك اكثر المواد التي يحملها في المستنقعات التي يمرُّ فيها ولكنهُ يحمل اكثر مما يحملهُ البحر الابيض . والمستنقعات التي يمر فيها كالخزانات تختزن ماءهُ وتعيق جريانهُ فلا يبلغ ماؤهُ الغزير الى مصبهِ في البحر الابيض الاَّ في شهر نوفمبر اي بعد ان يفيض باشهر

ويكون ماء البحر الابيض على اقلهِ قبل التقائهِ بنهر السبت في ابريل ومايو وكذلك نهر السبت ويبتدئ الفيضان في النهرين في وقت واحد ويحدث هناك ابدع ما يحدث في وادي النيل اذا استثنينا ما يحدث عند الخرطوم فان مسيل البحر الابيض تحت اتصالهِ بنهر السبت لا يسع فيضان النهرين ولذلك يرتفع ماؤهُ عند محل الاتصال ويفيض على الاراضي الواطئة واما ماء نهر السبت فيبقى جارياً في مجرى البحر الابيض ويزداد رويداً رويداً من مئة متر مكعب في الثانية الى الف متر مكعب في اكتوبر ونوفمبر . واما البحر الابيض فيقل الماء الجاري منهُ شمالاً ويزيد المنصب منهُ في الارض التي حولهُ فتصير بحيرة وقتية يختزن الماء فيها ثم يعود منها الى مجرى النيل في دسمبر ويناير وفبراير حينما يقل الماء الجاري من السبت . فهناك خزان طبيعي آخر يختزن ماء البحر الابيض الى حين الحاجة اليهِ

وطول البحر الابيض من مصب السبت الى الخرطوم ٨٤٠ كيلو متراً وانحدارهُ قليل في القسم الاعلى منهُ ومتى قرب من الخرطوم يصير سطحهُ مستوياً في زمن الفيضان كأنهُ بحيرة طويلة عرضها نحو كيلومتر ويبلغ عرضهُ كيلومترات كثيرة حيث تكثر فيهِ الجزائر والمستنقعات والماء الذي يفيض على هذه المستنقعات في زمن الفيضان يعود الى البحر الابيض في زمن التحاريق إما سيحاً على وجه الارض او تحلباً فيها . ولهذا التحلب اي وصول المياه الى النيل من الينابيع التي على جانبيهِ من ملتقى نهر السبت بهِ الى ان يصل الى بحر الروم شأن كبير في زمن التحاريق وكلما امعنا نظرنا في هذا الامر زاد احترامنا للهندسي القرن الماضي الماثيين الذي انبأ بذلك بدقة فائقة

ويجري ماء البحر الابيض الى الخرطوم جرياناً بطيئاً واقل ما يجري فيهِ هناك نحو ٤٥٠ متراً مكعباً في الثانية وذلك في شهر مايو ويكون ماؤهُ خالياً من الرواسب الاَّ حينما يمتزج بهِ ماء البحر الازرق المكدر

ويلتقي البحران عند الخرطوم وهما على تمام الاختلاف . فالبحر الازرق هو بحر الجبل الحقيقي لانهُ يجري من النصف الجنوبي من بلاد الحبشة الذي تقع فيهِ الامطار الغزيرة وعليهِ الاعتماد في فيضان النيل ومجراهُ سريع وماؤهُ عكر ويعلو بسرعة في الخرطوم فيملأ النيل ويمنع ماء البحر الابيض من الجريان فيكوّن منهُ بحيرة طولها ٥٠٠ كيلومتر

ويكون ماء البحر الازرق على اقلهِ في شهر مايو وقد يجف تماماً في بعض السنين صيفاً ويبلغ ماؤهُ في اعلى فيضانهِ في اوائل سبتمبر نحو ١٢٠٠٠ الى ١٤٠٠٠ متراً مكعباً في الثانية من الزمان وهذا المقدار من الماء لم يمرّ مثلهُ قبلاً واذا قصرنا النظر على ماء الفيضان فاصبع البحر الازرق اغلظ من متن البحر الابيض

واقول هنا استطراداً انهُ اذا علا ماء الفيضان بعد الآن كما علا سنة ١٨٧٤ و ١٨٧٨ وبقيت جسور الخرطوم منخفضة كما رأيتها في شهر يناير الماضي فالمرجح ان البحر الازرق يطغى عليها ويغمرها بمتر من الماء

ولا يشرع البحر الازرق في الهبوط السريع المستمر الا بعد ١٥ سبتمبر ويبتدئ انصباب الماء من البحر الابيض ويبلغ متوسطهُ الاعلى وهو ٣٠٠٠ متر مكعب في الثانية في اكتوبر حين تجري فيهِ المياه التي دفعت الى ما فوق ملتقى البحرين والمياه الآتية من الجنوب ويكون البحر الابيض فوق الخرطوم بحيرة ثالثة تخزن مياههِ ولذلك يحق لنا ان نقول ان البحر الابيض بخزاناتهِ الطبيعيةِ هو نيل مصر الحديثة التي الاعتماد فيها على الري الصيفي كما ان البحر الازرق هو نيل مصر القديمة التي كان الاعتماد فيها على ري الحياض

ان ما تقدم مأخوذ من كتابي النيل سنة ١٩٠٤ الذي فيهِ خلاصة كتاب السر وليم جارستن "حوض النيل الاعلى" فقد سكت ذلك الكتاب بيدي وطبعتهُ على البلاد التي وصفها ويسرني ان اشهد بصحة ما جاء فيهِ الا في القليل النادر . وقد ارتأيت في كتابي المشار اليهِ انشاء سدين الواحد عند مصب نهر السبت والثاني في الخرطوم بانياً رأيي على كتاب السر وليم جارستن ثم ايدتهُ بما رأيتهُ بنفسي وانا مدين للسير ديوي وللدكتور بلفور وللسير بيم على ما عثتهُ من الاستعلامات الحديثة لان الذين يريدون ان يفهموا المسائل العلية المتعلقة بحوض النيل كلهِ ارضهِ ومائهِ وحاصلاتهِ يجب عليهم ان يقصدوا حرم العلم في الجناح الشرقي من مدرسة غوردون الذي يرأسهُ الدكتور بلفور فان من هناك تنشر الياذة النيل السنوية اي تقرير معامل ولكوم وخلاصة ابحاث اولئك العلماء الذين يبحثون في العلم لذاتهِ لا لتجديد اقسم

نقد ابنا ان البحر الابيض سلسلة من الخزانات الطبيعية تخزن المياه فيها من نفسها وان فيه ثلاثة اماكن يحسن ان تنشأ السدود فيها لتصير خزانات صناعية الاول في فيولا قرب بحيرة البرت والثاني عند مصب نهر السبت والثالث في الخرطوم. وكل ما يحتاج اليه انما هو التحكم بهذه الخزانات الطبيعية حتى يجري الماء منها حينما نحتاج اليه لا حينما يجري من نفسه. والكراكات تبقي تجرى مشروحاً بين هذه الخزانات فانها توسعهُ وتعمقهُ حينما يدعو الامر الى ذلك وتزيل التعاريج وتسد البتايت. وسيشرع رجال الري في هذا العمل لانهم اوصوا على الكراكات و يبقى الشروع في استخدام خزان او اكثر من هذه الخزانات لكي يصير في السودان ما يكفيه من ماء الري من ١٥ مايو الى ١٥ يوليو وفي مصر ما يكفيها من ١٥ ابريل الى ١٥ يوليو

والخزان الذي يحسن الشروع فيه اولاً هو خزان الخرطوم فاذا اقيم هناك سدان من التراب مصانان بالحجارة البعد بينهما ٥ كيلومترات[1] يقطعان مجرى النيل ويجعل في كل منهما هويس و٢٠ عيناً وخزن بينهما ما ارتفاعهُ ٨ امتار من الماء فلا تزيد اكلافها على ١٢٥٠٠٠٠٠ ويكون من ذلك خزان يسع مليارين ونصف الى ثلاثة مليارات ونصف من الامتار المكعبة. والمزية من انشاء اول خزان عند آخر البحر الابيض هي ان مياهة تصل حالاً الى النيل وتجري الى القطر المصري. واجراء هذا الماء في اوائل الصيف وابقاء خزان اصوان مملوءا الى اطول ما يمكن يجعل التبخر على اقله ورجوع المياه الى النيل من التحات الارضي عن جانبيهِ على اكثرهِ وهذا الماء يقوم مقام اكثر الماء الذي يصعد بالتبخر. ويحسن ان تقام طلمبات على البحر الازرق على ١٥ كيلومترًا فوق الخرطوم تروى بها الارض في آخر مثلث الجزيرة تعويضاً للناس عما يخسرون من الارض التي ينشأ فيها هذا الخزان فان الفرع يقوم باكلاف العمل ونفقاتهِ. وما ينفق على عشرة الاف فدان مع ما يلزم لها من آلات الري والحرث لا يزيد على ٢٥٠٠٠٠٠ جنيه. واذا اضفنا ٢٥٠٠٠٠٠ جنيه الى ما قدر لعمل هذا الخزان بلغت النفقات كلها ١٥٠٠٠٠٠٠ لثلاثة مليارات من الامتار المكعبة مقابل ٦٠٠٠٠٠٠ جنيه لثلث مليار من الامتار المكعبة تحصل من تعلية خزان اصوان

واذا صار حول الخرطوم عشرة آلاف فدان تزرع زراعة صيفية فذلك من النعم الكبيرة

---

(١) (المقتطف) هذا على ما في الاصل الانكليزي والفرنسوي الذي عندنا والظاهر ان ذلك خطأ في الطبع والصواب ٥٠٠ كيلو متر. وقد قصدنا السرعة ولكننا حين كتابة هذه السطور لسنا له في ذلك فوجدنا انهُ سافر الى فيرص

واذا صار الماء ميسوراً على مدار السنة فالشركة المصرية الجديدة تصير قادرة على زرع ٢٠٠٠٠ فدان شمالي الخلفايا والخرطوم وتصير الخرطوم في جنة ارضية ولا يعود احنا يرون المبوب الاَّ اذا ابعدوا عنها ويصير السودان معدن ذهب لمصر اذ يعطيها ما يكفيها من الماء للزراعة الصيفية ولا يبقى عالةً عليها كما هو الآن

والخزان الذي يقام عند نهر السبت يلزم له اعمال شبيهة بالاعمال اللازمة لخزان الخرطوم وهي اضيق نطاقاً منها ولكن نفقاتها قد لا تقل عن نفقات سد الخرطوم والماء الذي يحجز بسد السبت يضطرُّ ان يجري ٨٤٠ كيلومتراً حتى يصل الى الخرطوم فينقص في سيره كثيراً ولذلك يكون سد الخرطوم انفع منهُ

وسد فيضولا لا بدَّ من تأخيره الى ان تنشأ سكة حديد تصل ما فوق الممر الصخري بما تحتهُ جنوبي غندكرو والى ان تطهر الكراكات جهات السد حتى يسع مسيل النهر كل الماء الذي يجري فيهِ . وهذا العمل سهل حتى في البلاد التي حول بحيرة البرت ونفقاتهُ اقل من مليون جنيه وهو مهم الآن من وجهتهِ النظرية فقط

وسد الخرطوم يتم بسهولة في ثلاث سنوات وهو كافٍ لكل المياه التي يحتاج اليها القطران المصري والسوداني من الآن الى سنين كثيرة . ويسهل وجود الاموال اللازمة لهُ ولوادي الريان (وهذا الاخير اهم من الخزانين الآخرين) وذلك ببيع جانب من المليون فدان البور التي تمتلكها الحكومة في الوجه البحري وليس لهذه الاطيان قيمة تذكر الآن ولكن يصير لها قيمة كبيرة جداً حالما تعطى المياه الكافية للري الصيفي

وقد عرفنا الآن سبب اخضرار ماء النيل والفضل في ذلك للعلماء مثل شوينفورث وكتمن وعرفنا ايضاً كيف نمنعهُ فان الماء الاخضر اكثر طعماً والرائحة مسبب اخضرارهُ عن نمو نباتات بزورها موجودة في الماء ويزيد نموها حينما يصير جريان الماء بطيئاً فقد كان المسيو غالوي سلفي في ادارة شركة مياه العاصمة يشكي من اخضرار المياه حينما يطول خزنها فوق القناطر الخيرية ويصير سيرها بطيئاً وقد قيل لهُ ان اخضرارها آتٍ من جهات السد ولكن ذلك خطأ واخضرارها ناتج عن ظهور بناتها فوق القناطر الخيرية وقد تزيد المواد الخضراء فيها حتى يتعذَّر ترشيحها بطبقات الرمل وقد عرفت ذلك حينئذٍ كما اعرفهُ الآن لرأيت المياه مارين فوق المرشحات وجعلتها تنصب على شبكة تتعلق بها المواد النباتية وينزل الماء الى مرشحات الرمل نقياً فينتج ذلك عن ماء الآبار الارتوازية الذي يكرههُ الوطنيون والغرباء . ويظن البعض ان هذا الماء المخرج من طبقات الارض السفلى متصل بالمياه العذبة من

امراب القاهرة التي تغور في الارض وتصل الى المياه في طبقاتها السفلى ولا علاج لذلك الاَّ اذا زحت امراب القاهرة على اسلوب المستر كاركيت جس واهملت آبارها

في شهر يونيو سنة ١٩٠٠ ساءت المياه الخضراء جدًّا وقلَّ الاكسجين فيها حتى ان الواقف على كبري قصر النيل كان يرى السمك مغطيًا سطح الماء لانهُ لم يعد يستطيع ان يعيش الاَّ قرب سطحهِ . وماتت الالوف منهُ في جهات كلبشه . وزاد اخضرار النيل فوق خزان اصوان في شهر يونيو سنة ١٩٠٣ ولكنهُ لما انصبَّ من العيون واستحال الى رشاش تطهَّر وتنقى حتى عسر عليَّ ان اصدق ان الماء الذي رأيتهُ عند جزيرة اصوان هو من نفس الماء الذي رأيتهُ فوق الشلال

ولذلك يجب ان الماء المخزون في خزان البحر الابيض عند الخرطوم ينصب على شبكة او مصفًى حتى يخزن فيتنقى . والمرجح ان ماء النيل يصير حينئذٍ انقى مما يمكن ان يكون الآن حينما يكون البحر الابيض على اوطاره

فها قد بسطت لكم ما استندتهُ من سياحتي الى منابع النيل ووصفت ما رأيتهُ من الخزانات الطبيعيَّة في مجرى البحر الابيض وكيف يمكن ان تستخدم لنفع مصر والسودان ويزيد نفع هذه الخزانات بكل ما يبنى على النيل من القناطر التي تجعل الترع المتصلة بها بأمن من قلة الفيضان فالقناطر الخيرية وقناطر اسيوط وقناطر اسنا التي تبنى الآن هذه القناطر كلها تساعد على خزن الماء للري الصيفي وفي حلقات من سلسلة كبيرة وخزن الماء ميسور لمصر ولا يتنفى الاَّ التحكم بماء البحر الابيض كما تحكم القدماء بماء البحر الازرق لكي يعم الري الصيفي تكثيرًا لموسم القطن الذي لا مثيل لهُ وهذا الري خير خلف لري الحياض الذي شهر مصر قديمًا كاعظم بلاد لزرع الحنطة

(انتهت خطبة السر وليم ولكوكس الاولى وقد ترجمناها بتصرف قليل)

ديون الفلاح المصري

يقدِّر المقدرون قيمة اطيان القطر المصري الآن بنحو ٤٠٠ مليون من الجنيهات والديون التي عليها بنحو اربعين مليونًا من الجنيهات فيكون الدين نحو عشرة في المئة فقط من ثمن الاطيان ويقابلون ذلك بما على الاراضي الزراعية من الدين في الممالك الاوربيَّة ويقولون ان الدين لا يزال خفيفًا جدًّا في القطر المصري واطيانهُ تحتمل مضاعف ما عليها . ويقول غيرهم ان دين الحكومة المصرية البالغ مئة مليون من الجنيهات هو على الاطيان والاطيان تدفع فائدتهُ وفي

مرهونة لاصحابه وعليه فالدين الذي على الاطيان يبلغ مئة واربعين مليوناً من الجنيهات نهو ٣٥ في المئة من ثمن الاطيان وهي لا تحتمل اكثر من ذلك واذا زاد الدين عليها فلا بدَّ من ان تظهر نتيجتهُ عاجلاً او آجلاً بعجز الفلاحين عن ايفاء الاقساط المطلوبة منهم. ويستثنى من ذلك المال الذي يستدان لاصلاح الاراضي البور فان الفدان البور الذي يشترى الآن بثلاثين او اربعين جنيهاً ينفق عليهِ عشرة جنيهات او خمسة عشر جنيهاً فيصير يساوي سبعين او ثمانين جنيهاً

ويمكن التوفيق بين هذين القولين بان جانباً من دين الحكومة يحسب على الاطيان والجانب الآخر على سكك الحديد ونحوها من المصالح ذات الايراد. وسكك الحديد تساوي نحو اربعين مليوناً من الجنيهات او ان صافي ريعها يساوي فائدة اربعين مليوناً من دين الحكومة فكأن الباقي من دين الحكومة على الاطيان نحو ستين مليوناً من الجنيهات وهي والدين الذي على الاطيان مباشرة ١٠٠ مليون من الجنيهات او نحو ٣٥ في المئة من ثمن الاطيان فان كانت الاطيان تحتمل اكثر من ذلك فما تحتملهُ قليل لا يزيد على خمسة في المئة من ثمنها

ويظهر كون اطيان القطر حاملة دين الحكومة من ارتفاع الضريبة فان متوسط ضريبة الفدان في القطر مئة غرش وهي لا تزيد على غروش قليلة في سائر البلدان فاذا فرضنا ان ستين مليوناً من دين الحكومة خاصَّة بالاطيان ففائدتها مليونان من الجنيهات وهي مأخوذة من مال الاطيان فيصيب الفدان منها اربعون غرشاً والباقي وهو ستون غرشاً من المال فسفهُ مقابل نفقات الري والنصف الآخر للحكومة مقابل حفظ الامن والادارة العامَّة

واذا فرضنا ان اطيان القطر تحتمل ايضاً من الدين ما يساوي خمسة في المئة من ثمنها فذلك يساوي عشرين مليوناً من الجنيهات اي انهُ اذا زادت ديون الاطيان عشرين مليوناً اخرى فلا ضرر منها بشرط ان تنفق بالحكمة لخدمة الاطيان وان لا تكون فائدتها اكثر مما يأخذهُ البنك العقاري المصري عادة اي نحو ٦ في المئة سنوياً

البنك الزراعي وديون الفلاح

لما اشتدت الضيقة المالية في القطر المصري في الشهر الماضي طلب جماعة من الحكومة ان تقرض البنك العقاري المصري نحو مليوني جنيه من الاوراق المالية التي عندها ويعيد قيمتها لها في بضع سنوات مع فائدة معتدلة اكثر من الفائدة التي تنالها الحكومة الآن ويجلب

بها فقيراً من فرنسا يقدمها للفلاحين على جاري عادتهِ . فلم تجبهُ الحكومة الى طلبهِ ولكنها اوعزت الى البنك الاهلي يقترض البنك الزراعي نحو مليون جنيه اخرى واجازت للبنك الزراعي ان يزيد اكبر مبلغ يدينهُ لشخص واحد من ٥٠٠ جنيه الى الف جنيه وشاع في اواخر الشهر ان رأس مال البنك الزراعي سيزاد اربعة ملايين من الجنيهات وانهُ يباح لهُ حينئذٍ ان يجعل اكبر مبلغ يدينهُ لشخص واحد خمسة الآف من الجنيهات

ولكن هب انهُ تمَّ ذلك كلهُ فالفائدة منهُ لا توازي الفائدة من البنك العقاري لاصحاب الاطيان واصحاب اراضي البناء اولاً ان البنك العقاري يكتفي بفائدة ستة في المئة الى ستة ونصف والبنك الزراعي يأخذ فائدة ثمانية في المئة وهذه الاثنان في المئة تجعل فرقاً يساوي عشرين الف جنيه في كل مليون جنيه يخسرها الفلاح ويكسبها ارباب الاموال

وثانياً ان البنك الزراعي لا يتهل في استيفاء اقساطهِ ابداً فيضطر الفلاح ان يستدين القسط من التجر ربا فاحش الى ان يبيع محصولاتهِ والمرجح ان المئة التي يستدينها الفلاح من البنك الزراعي بثمانية في المئة تكلفهُ عشرة او اثني عشر في المئة وهذا غبن فاحش على الفلاح

وثالثاً ان البنك العقاري يسلف اصحاب الاملاك لبناء المنازل فيها ولولاهُ ما عمرت احياء كثيرة في مصر والاسكندرية وكثير من المدن فاذا عجز الآن عن تسليف النقود لاصحاب الاراضي عجزوا هم عن بنائها واستثمار الاموال التي دفعوها ثمنها فتكون الخسارة كبيرة على القطر المصري من جراء ذلك ويبطئ عمرانهُ ولذلك اسف الجمهور لان الحكومة لم تجد لها سبيلاً لمساعدة البنك العقاري ويودون ان تجد سبيلاً آخر يسهل امداد اصحاب الاطيان واصحاب الاراضي بالاموال التي يحتاجون اليها لاصلاح اطيانهم وبناء اراضيهم بفائدة معتدلة لا تزيد على ستة في المئة

مستقبل زراعة القطن

ان مساحة الاراضي المزرعية في القطر المصري تبلغ ٦٣٨٧١٠٠ فدان منها ٥٥٣٩٦٣٨ تزرع الآن والباقي وهو ١٠٤٧٤٦٢ ينبل الزراعة لو وجدت المياه الكافية لريهِ وهذه الاطيان موزعة في الوجهين البحري والقبلي كما ترى في هذا الجدول

	الوجه البحري	الوجه القبلي	المجموع
الاطيان المزروعة	٣١٣٢٥٣٩	٢٣٠٧٠٩٩	٥٥٣٩٦٣٨
الاطيان القابلة الزراعة	٩٣٣٩٨٥	١١٥٤٧٧	١٠٤٧٤٦٢
المجموع	٤٠٦٦٥٢٤	٢٣٢٠٥٧٦	٦٣٨٧١٠٠

والاطيان التي زرعت قطنًا في العام الماضي نحو ١٦٥٠٠٠٠ فدان وهي نحو ٤٠ في المئة من اطيان الوجه البحري الزراعية ونحو ١٤ في المئة من اطيان الوجه القبلي الزراعية والمجموع نحو ٣٠ في المئة من اطيان القطر. وتقدر مساحة الاطيان التي تزرع الآن قطنًا والصالحة لزراعة القطن كلها ٥٦٠٠٠٠٠ فدان فاذا زرع ٤٠ في المئة منها قطنًا سنويًا بلغت مساحة زراعة القطن السنوية ٢٢٤٠٠٠٠ فدان واذا بلغ متوسط محصول الفدان اربعة قناطير ونصف قنطار كما في العام الماضي بلغ المحصول كلهُ عشرة ملايين قنطار ولكننا نرجح ان ارباب الزراعة سيجدون انهُ لا يحسن بهم ان يزرعوا القطن في اكثر من ثلث الاطيان الصالحة لزراعته فلا تزيد مساحة زراعة القطن السنوية على مليون ونحو ٩٠٠ الف فدان ويبقى المحصول ثمانية ملايين ونصف الى تسعة ولكن تكون المقطوعية قد زادت كثيرًا جدًّا قبلما يبلغ محصول القطن هذا المبلغ

ترجمات عظماء المشرق

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الاغر

لا اخفي عنكم عجبي من خطتكم في الاغضاء عن نشر تراجم مشاهير ونوابغ الشرق بالاخص الذين ظهروا في مصر وسوريا. مع ان مقتطفكم سيكون كتاريخ يرجع اليهِ في الاجيال المقبلة لمعرفة ما كنا عليهِ من العلم والمعرفة والشهرة

نشرتم في الماضي سير كثيرين من افاضلة الغرب وعلمائهِ الذين انادوا العالم والانسانية ثم جعلتم تترجمون بعض من اشتهر من رجال اوربا واميركا تحت عنوان (رجال المال والاعمال) وليس في نشر تاريخ هؤلاء (اي رجال المال والاعمال) فائدة للشرق سوى تشبه ابنائهِ بهم ليقتفوا آثارهم في الكد والعمل

ولكن لا يخفى على حضرتكم ان نقل العدوى من القريب اهون بكثير من الاتيان بها من البعيد. ولا شك ان روح الغيرة تدب في قلب الانسان من اخيهِ وجارهِ بهيئة افعل مما لو جاءتهُ من الغريب البعيد

ونحن والحمد لله لم نحرم رجالاً افاضل حازوا شهرة عالية وافادوا بلادنا فائدة لا يمكن انكارها . واينما كان يشار بالبنان في كل مكان وهم اعظم مثال للجد والاجتهاد . وعلى ما افتكر ان سيرهم اول بالتدوين خصوصاً في بطون التاريخ الشرقي الذي يخلهُ الآن مقتطفكم الاغر متتبعاً الحوادث وجارياً معها جنباً لجنب

بهذا تنصفونهم وتضمون الغاية التي ترمون اليها من بث روح الجد والاجتهاد . فضلاً عن انهُ يتحتم علينا درس ومعرفة سير هؤلاء الافاضل الذين لهم الفضل الاكبر علينا والذين بهم نفتخر كم وكم من الذين لهم اليد الطولى في نهضتنا العلمية والادبية الاخيرة قد ذهبوا الآن ينالوا اكليل المجد جزاء اعمالهم منهم الصحافي والخطابي والمؤرخ والمصنف والمؤلف والمترجم واللغوي والعالم . وآخرون هم مثال الجد والاجتهاد ولدوا ولعصبهم لا يملكون سوى الفقر وماتوا وعندهم الالوف ليس من طريق استبداد او احتكار او مضاربة . بل من طريق الاستقامة والجهاد ولم تجهلوا لهم ذكراً في مقتطفكم

فبقل من العدل ان تجهلوهم حقهم ولا تدونوا تاريخ حياتهم ليكون مثالاً لنا ولابنائنا من بعدنا . ولكي توفوا التاريخ حقهُ . خصوصاً لانكم انتم اولى بهذا العمل من ابناء الجيل القادم لانهم كانوا معاصريكم ومعاشريكم ومشاركيكم سواء كان في العلم او في السياسة وخدمة البلاد ومؤلفاتهم وتصانيفهم ولعبهم وجميع اعمالهم بين ايديكم . فاذا كتبتم عنهم شيئاً يكون لهُ المقام الاول لانكم انما تكتبون ما رأيتموهُ رأي العين او اخذتم عمن رأى

فنرجو ان نرى في الاعداد القادمة ما يسد هذه الثلمة في بناء تاريخ الشرق وبهذا تكون خدمتكم للوطن وبنيهِ اجل واعم

لم اقصد من هذا سوى الفات نظر حضرتكم الى ما اعتقد ان بهِ فائدة عظيمة لنا . فان اصبت الرمى فهذا مشتهاي والاَّ فاني اكون قد كاشفتكم بما في ضميري ودمتم

ابرهيم نقولا يارد

[المقتطف] ان ما ننشرهُ بقلمنا نكتب فيهِ ما نعرفهُ او ما ننقلهُ عن الذين يعرفونهُ . وما ننشرهُ باقلام غيرنا نتوخى ان يكون مما يعلمونهُ هم او مما ينقلونهُ عن العالمين بهِ . فقد ترجمنا الدكتور فان ديك والدكتور بلس والدكتور ورتبات والشيخ محمد عبده لاننا كنا من اعرف الناس بهم وبمؤلفاتهم ونشرنا ترجمة المعلم بطرس البستاني والسيد محمد بيرم لان اعرف الناس بهما كتبهما لنا . والقاعدة التي جرينا عليها حتى الآن هي اننا لا نترجم الاَّ الاموات او الاحياء الذين شاخوا وثبتت شهرتهم ولا يخشى ان تنتقض . ثم ان الذين توفوا

ولم تذكر ترجماتهم في المقتطف مع انهم يستحقون ان تذكر فيه كان السبب الوحيد لعدم ذكرها اننا نحن لا نعرف من امورهم ما يكفي لترجمتهم والذين يعرفون من امورهم ما يكفي يخلوا علينا بكتابة ترجماتهم وذووهم لم يهتموا بذلك

وكل ما ننشرهُ من ترجمات الاوربيين والاميركيين منقول عن كتب ومجلات موثوق بها بقي الذين لا نعرفهم ولا طالعنا مؤلفاتهم سواء كانوا من ابناء هذا القطر او القطر السوري فهؤلاء لا يجوز لنا ان نترجمهم ونكتب عنهم امورًا قد تكون صحيحة وقد تكون كاذبة لئلا يكون ذلك تضليلاً للافهام. وفوق هذا فان العلم عامٌّ لا شرقي ولا غربي واذا ترجمنا خمسين رجلاً من علماء الغرب قبل ان نترجم رجلاً واحدًا من علماء الشرق لا نكون قد بخسنا الشرقيين المعاصرين حقهم لانهُ ليس فينا عالم واحد مقابل خمسين عالمًا من علماء الغرب وقس على العلماء رجال السياسة ورجال المال والاعمال . ولا يجوز في شرع العلم ان نستحسن ذا ورم وتمرهُ على انفسنا وعلى الناس

ثم اننا اذا لم نترجم واحدًا من الذين يستحقون ان يترجموا لا نكون قد ظلمناهُ لان ليس بيننا وبينهُ عهد اننا نذكر ترجمتهُ حيًّا وميتًا ولا تعهدنا لهُ ولا لغيره اننا نترجم كل من يستحق ان تذكر ترجمتهُ في المقتطف حتى نكون قد حدثنا عن "العدل" في عدم ذكرنا اياها . وكل ما نحن مرتبطون بهِ للجمهور هو ان غلاف المقتطف بما نحسبهُ نحن مفيدًا لهم . ويستحيل علينا ان نجمع فيهِ كل ما هو مفيد ونو كان حجمهُ عشرة اضعاف ما هو . ويستحيل علينا ايضًا ان نجري على رأي كل واحد من القراء . وهل تستطيعون ان تذكروا لنا اسم عشرين رجلاً "من الذين لهم اليد الطولى في نهضتنا العلمية والادبية الاخيرة ومنهم الصحافي والمحامي والمؤرخ والمصنف والمؤلف والمترجم والجغرافي والعالم ومن الذين ولدوا لا يملكون سوى النقر وماتوا وعندهم الالوف ليس من طريق استبداد او احتكار او مضاربة بل من طريق الاستقامة والجهاد" ولم نجعل "لهم ذكرًا في المقتطف" كما تقولون

ان من يقرأ تعدادكم لاوصاف العلماء والفضلاء يحسب اننا فقنا المانيا في عدد علمائنا واميركا في عدد اغنيائنا والظاهر ان مقياس العلم عندكم اوطأ جدًّا مما هو عندنا والاَّ ما كنا نحن وكثيرون غيرنا نشكو دائمًا من تأخرنا العلمي ومن انهُ لم يقم منا في العصر الحاضر عالم واحد يقاس بعلماء اوربا واميركا ولا قام منا رجل جمع ثروة بطريق الحلال تقابل بثروة اغنياء اوربا واميركا . اين العالم الطبيعي الذي اكتشف ناموسًا من نواميس الطبيعة او حقيقة واحدة من حقائقها . اين العالم الفلكي الذي اكتشف نجمًا واحدًا جديدًا او علم امرًا

واحداً لم يكن معلوماً . اين اللغوي الذي استنبط حقيقة واحدة جديدة في علم اللغات ووافقهُ علماء اللغات عليها

جاءنا جماعة منذ سنوات يرجل برّاد يبدو بندقية مثل بنادق رمنتون وقالوا لنا انظروا عدم اعتناء حكومتنا بصنّاع بلادها فان هذا البرّاد صنع بندقية مثل بنادق رمنتون تماماً فلو كان في اوربا فاذا كان جزاؤهُ من حكومتهِ . قلنا السجن او الغرامة . فبهتوا من ذلك قائلين لم ان هذا الرجل مختل او مخلس فلو صنع هذه البندقية قبل ان صنع غيرهُ مثلها لعُدّ مخترعاً ابيا وقد قلّد تقليداً فهو معتدٍ على حقوق المخترع قبل ان تنقضي مدة امتيازه . ولعلّ هذا القول يصدق على كثيرين من الذين نحسبونهم من العلماء المؤلفين

ملك اسوج وتاريخ العرب

حضرة منشئي المقتطف

بعد التحية — قلتم في الجزء الاول من مجلد هذا العام في تأبينكم جلالة ملك اسوج انهُ اهتم بتاريخ العرب قبل الاسلام واقترح على الباحثين تأليف تاريخ لهم وعين جائزة لمن يفي كتابهُ بالمراد فلم ينل الجائزة احد

فاخبر حضرتكم ان من الكتب التي قدمت لهذا الغرض كتاب (بلوغ الأرب في احوال العرب) لمؤلفهِ الفاضل السيد محمود افندي شكري الالوسي البغدادي وقد قال بعضهم ان هذا الكتاب نال الجائزة وذكر هذا ايضاً ملتزم طبعهِ في مقدمتهِ فقال

(ولما عرض مع غيرهِ على انظار الامتحان ظهر رجحانهُ وبان واستحق الجائزة والتقريظ وقال بين أولي الفضل اجاه العريض . الخ)

فهل هذا الكتاب نال الجائزة والتقريظ كما قيل او انهُ لم ينل غير ما جاء فيهِ من التقاريظ الأمل افادتنا ولجنابكم الفضل

عبد الرحيم اسيوط البيسري

[المقتطف] ان الذي ذكرناهُ هو الصحيح فانهُ لم ينل الجائزة احد ولكن الكتاب الذي تشيرون اليهِ وُجد افضل من غيرهِ فاستحق مؤلفهُ الشكر وأمر الكونت لندبرج الذي كان قنصلاً جنرالاً لاسوج في مصر ان يكتب اليهِ كتاب شكر ففعل ونكرر الآن ما قلناهُ مراراً وهو ان تاريخ العرب قبل الاسلام غامض مقيم جدًّا ولا نرى سبيلاً لمعرفتهِ الاَّ باستخدام جمهور من علماء العاديات ليبحثوا وينقبوا في آثار بلاد العرب لعلهم يكشفوا ما يجلي بهِ الغامض كما فعلوا في تاريخ المصريين القدماء وتاريخ الاشوريين والبابليين

باب المسائل

(١) اللوبياء والسوس

كورو بفازو بلا - ضومط اخوان . هل من طريقة سهلة لحفظ اللوبياء من السوس فانها كثيرة في هذه الجهات ولكن يفرغها السوس بعد جمعها بشهر او شهرين

ج ان السوس يكون فراشاً صغيراً بيض على ظاهر اللوبياء ويتولد السوس من بيضه فيخرق اللوبياء . فالطريقة لمنع السوس ان توضع اللوبياء في مخازن جافة خالية من فراش السوس ومن الشقوق والثقوب التي يقيم فيها هذا الفراش . ورجح ان بخار كبريتيد الكربون يميت فراش سوس اللوبياء وبيوضهُ كما يميت فراش سوس القمح وبيوضهُ فيحسن ان يجرَّب ذلك بارشاد صيدلاني ماهر

(٢) ماركس ريغولوس

ود مدني . محمد افندي عارف . قرأت في تاريخ رومية تكرينون ان ماركس ريغولوس Marcus Regulus الذي زحف لفتح افريقية وعاد الى قرطاجنة بعد ان انهزمت مراكب القرطاجنيين التي أُرسلت لعرقلة مساعيهِ في الفتح أُسر عند انهزام جيشهِ في محاولتهِ النزول بقرطاجنة وسجن ثم أُرسل الى رومية لمهمة ارسلهُ اليها القرطاجنيون من جملة ابدال الاسرى ولما لم يفلح رجع الى حيث كان ومات في السجن

وفي تاريخ ابو الفدا العمومي رأيت انهُ رجع وعوضاً عن طلبهِ ما أُرسل من اجلهِ طلب من قومهِ شن الغارة على قرطاجنة واظهر لهم خللها الداخلي ثم رجع ومات شر ميتة سنة ٢٥٦ فاي القولين اصح

ج ان الرواية الثانية صحيحة على اختصارها لكنها لا تنقض الرواية الاولى ولو خالفتها فان ماركس ريغولوس لم يفلح في ما ارسل لاجلهِ وعاد الى قرطاجنة وسجن ومات . اما تعليل عدم فلاحهِ وشرح كيفية موتهِ معتمداً على ما ورد في الرواية الثانية فننقولان عن وصف شعري

(٣) علامة الظفر

ومنهُ . كان الرومان يثبتون مزراقين في الارض ويغصبون مزراقاً ثالثاً فرقعها معترضاً ليمر من تحتهُ الجيش المنهزم علامة الانهزام فهل يوجد عند العرب ما يشابه ذلك

ج لا نعلم ان هذه العادة كانت عند العرب ايضاً ولكن يظهر من عادة اللاعبين بالسيف والترس ان الغالب كان يشهر سيفهُ

فيمر المغلوب من تحته ويدعى عليق السهم. وكان المغلوب المعنى عندهُ عند العرب يخشو امام الغالب ويلس طرف ثوبهِ ويقول لهُ ملكت فاسجح اي ظفرت فاحسن العفو

(٤) الاشربة الروحية

مصر · احد المشتركين اتخذ المتفرنجون من المصريين الاشربة الروحية في حفلاتهم وافراحهم كأنها من الضروريات فهل هذه العادة ضمن ما حملهُ الينا المصريون من الغرب وهل هي هناك كما هي عندنا

ج الظاهر انكم لم تسمعوا وصف الخمر الذي يصفها بهِ الشعراء وهو معتقة من عهد نوح فاهالي مصر واهالي الشام كانوا يعصرون الخمر ويصنعون الاشربة الروحية على انواعها لما كان اهالي اوربا يأوون الكهوف والحراج ويعيشون بالصيد والقنص ولا خمر عندهم ولا شيء من الاشربة الروحية · وترى الصور المصرية القديمة التي نقشت على الحجارة من عهد الفراعنة القدماء منذ اربعة آلاف سنة او خمسة آلاف سنة والناس جلوس فيها حول موائد الطعام رجالاً ونساء والسقاة يديرون عليهم كؤوس الراح فان كانت امة اقتبست من امة شرب المسكرات فاهالي اوربا اقتبسوا ذلك من اهالي اسيا وافريقية وهذا لا ينفي ان تكون عادة صبّ نوعين او ثلاثة من المسكرات في اكواب على المائدة مقتبسة الآن من الاوربيين لانها شائعة في ولائمهم

(٥) ايمان لورد كلفن

حمص · الخواجه حنا خباز · تكرمتم على قرّاء المقتطف بترجمة لورد كلفن العالم الانكليزي فهل تجودون علينا بشيء مما تعلمونهُ عن مبادئهِ الروحيَّة اي هل كان يؤمن وبماذا

ج لما التأمت جمعيَّة ادنبرج العلميَّة الملكية في ٦ يناير هذا العام قرأ الاستاذ كردم برون تأبيناً للورد كلفن قال فيهِ "انهُ كان شديد الاهتمام بالعلوم المحضة ولكنهُ لم يقصر اهتمامهُ عليها بل اهتمَّ ايضاً بكل المسائل التي تؤثر في احوال الامم كالتعليم والسياسة والديانة وكان لهُ آراء صريحة في كل موضوع من المواضيع التي بحث فيها بحثاً دقيقاً وكان يدافع عما يحسبهُ حقاً اشد الدفاع ولكنهُ كان يحترم آراء خصومهِ ويجامل جميع الناس"

ومعلوم ان لورد كلفن عاش ومات من اعضاء الكنيسة الانجيلية فلا بدَّ من انهُ كان يعتقد اعتقادها او اعتقاد المتنورين من ابنائها لكننا لم نقف حتى الآن على اقوال صريحة لهُ تظهر منها عقائدهُ الدينيَّة

(٦) العلم والدين

ومنهُ · هل يصحُّ ما يصرّح بهِ البعض من ان التعمُّق في العلوم الطبيعيَّة ينافي الايمان

ج كلاَّ لانهُ مهما اتسع علم العالم يبقى يجهل امورًا كثيرة ويبقى مضطرًّا ان يؤمن بامور يفرضها فرضًا او تدعو الحال الى

وجودها لزوماً ولو كانت غير واقعة تحت الحس

(٧) ازلية المادة

ومنهُ . اي هل أنسبة الازلية للمادة ونواميسها ام استناد وجود المادة الى قوة عاقلة ازلية سنت نواميسها وهي متسلطة عليها

ج انا لا نستطيع ان نتصوّر الازلية للمادة ولا لغيرها ولا ندري كيف يستطيع الناس ان يتصوّروها . ولكن اذا فرض فرضان الاول ان المادة وُجدت منذ الازل هي ونواميسها فليس لها موجد والثاني ان الخالق وجد منذ الازل وهو الذي اوجد المادة ونواميسها . وطُلب منا تصوُّر هذين الفرضين رأينا ان تصوُّر الجزء الثاني من الفرض الثاني اسهل من تصوُّر الفرض الاول كلهِ والجزء الاول من الفرض الثاني . ولعلَّ غيرنا يستسهل تصوُّر الفرض الاول او تصوُّر الفرضين على حدٍّ سوى . ولا ندري لماذا يحث الناس في امور يصعب عليهم ادراكها وهم يجهلون امورًا كثيرة يسهل فهمها ويهملون امورًا كثيرة يجب عليهم العمل بها

(٨) البابية

توڤو هورزونت بامبركا . خليل افندي اسطفان . سمعنا ان بمدينة عكاء فئة دينية تدعى باسم البابيين فهل لكم ان تخبرونا عن تاريخ ظهورها وخلاصة تاريخها

ج قد نشرنا كلاماً وافيًا عنها في المجلد العشرين من المقتطف فعليكم بمراجعتهِ

(٩) مخترع المغزل

ومنهُ . من هو مخترع اول مغزل وفي اي عهد

ج ان ذلك مجهول لتوغلهِ في القدم ولا يمكن تحقيق شيء من تواريخ القدماء الاَّ ما كان مكتوبًا منها كتابةً فكل ما استنبطوهُ قبلما وضعوا الكتابة لا يعلم تاريخ استنباطهم لهُ والغزل والنسج عرفا قبلما عُرفت الكتابة فلم يحفظ تاريخهما ولا عبرة بما نقلهُ القدماء بالتواتر لانهم مزجوهُ بالخرافات ولأن الانسان ميَّال الى وضع الاقاصيص عمَّا لا يعلمهُ ولو على سبيل التعليل

(١٠) ضرر السعوط

ومنهُ . هل السعوط اخف ضررًا من النشق

ج نعم

(١١) مرض الدماغ والسكر

ملتطاه . الخواجا يوسف حديده . انسان اصيب بمرض في دماغهِ بسبب شرب الخمر ثم عالج المرض وشفي تمام الشفاء ولم يشرب الخمر بعد ذلك وهو يستعمل الآن الرياضة البدنية التافونية والغذاء المفيد فهل يبقى معرَّضًا للداء

ج لم تذكروا لنا اسم الداء ولا وصفهُ ولكن ان كان قد شفي منهُ تمامًا فهو لم يكن مزمنًا بل حادًّا اي انهُ لم يكن مصابًا من جراءهِ بعلة في كبدهِ او قلبهِ او اعصابهِ ولذلك لا

خوف من رجوع الداء اليه اذا ما يعد الى شرب المسكرات ثم ان الداء الذي يحدث من المسكرات لا يحدث من غيرها

(١٣) العدد الذهبي

مصر م . افندي فهمي . ما هو العدد الذهبي في حساب التقويم

ج ان بدر عيد الفصح يختلف وقوعهُ من سنة الى اخرى في مدة ١٩ سنة والعدد الذهبي هو العدد الدال على عدد السنين من هذه المدة وذلك لان كل ١٩ سنة من السنين الشمسية تساوي ١٩ سنة من السنين القمرية وسبعة اشهر فوقها فاذا اضيف سبعة اشهر الى سبع سنوات قمرية ففي مدة ١٩ سنة قمرية عادت السنة الشمسية والقمرية الى الاتفاق . وقد جعل المسيحيون عيد الفصح في اقرب احد من البدر الواقع بعد الاعتدال الربيعي فما يحدث هذه السنة يحدث مثلهُ بعد تسع عشرة سنة فتكون التسع عشرة سنة دوراً كاملاً والعدد الذهبي يدل على السنة من هذا الدور والعدد الذهبي في سنتنا هذه ٩ اي انهُ مضى ٩ سنوات من هذا الدور

(١٤) السيارات السبعة

ومنهُ . قال القدماء ان السيارات سبعة وقد جمعها بعضهم بقولهِ

تلك السراري زحل فالمشتري
وبعدها مريخها في الاثر
شمس فزهرة عطارد قمر
وكلها سائرة على اثر

فهل يوافق علماء الفلك المتأخرون على ذلك

ج كلاَّ فان القدماء الذين قال الشاعر قولهم حسبوا ان الارض ثابتة والشمس والقمر وعطارد والزهرة والمشتري وزحل نجوم سيَّارة تدور حولها . اما المتأخرون فوجدوا ان الشمس ثابتة بالنسبة الى سيارتها وان الارض من جملة السيارات التي تدور حولها والقمر تابع للارض يدور حولها . واكتشفوا سيارين كبيرين وراء زحل وهما اورانوس ونبتون وسيارًا صغيرًا بين الارض والمريخ وهو اروس . فصارت هذه السيارات تسعة وهذا ترتيبها من الاقرب الى الابعد

عطارد فالزهرة فالارض فاروس فالمريخ فالمشتري فزحل فاورانوس فنبتون . واكتشفوا ايضاً عددًا كبيرًا من السيارات الصغيرة جدًّا تدور حول الشمس وهم يظنون انها من سيار تكسَّر فبقيت كسرهُ تدور حولها

(١٥) اكبر السيارات

ومنهُ . اي السيارات اكبر من غيرها

ج المشتري اكبر السيارات كلها فان قطرهُ ٨٦٥٠٠ ميل ويليهُ زحل فنبتون فاورانوس وهاك جدولاً باسمائها واقطارها

المشتري	قطره	٨٦٥٠٠	ميل
زحل	"	٧٣٠٠٠	"
نبتون	"	٣٤٨٠٠	"
اورانوس	"	٣١٩٠٠	"
الارض	"	٧٩٣٨	ميلاً
الزهرة	"	٧٧٠	ميل
المريخ	"	٤٢٣٠	ميلاً
عطارد	"	٣٠٣٠	"
اروس	"	٤٠٢٠	"

فاربعة من هذه السيارات اكبر من الارض واربعة منها اصغر من الارض ثم ان اثنين منها فقط اقرب الى الشمس من الارض وستة ابعد منها عن الشمس

(١٥) اسماء صور السماء

ومنهُ ذكرتم في الجزء الماضي اسماء بعض صور السماء وبعضها عربي كالدب الاكبر والدب الاصغر وبعضها غير عربي كقيفاوس وبرشاوس وظاهر لفظهِ انهُ يوناني فكيف سمَّى العرب النجوم باسماء يونانية

ج ان العرب لم يسموا النجوم اسماء يونانيَّة ولكن الذين ترجموا كتاب المجسطي من اليونانية الى العربيَّة ترجموا بعض الاسماء وعرَّبوا البعض الآخر فترجموا الدب الاكبر وهو ترجمة حرفية وابقوا على كلمة قيفاوس لانها لا تترجم. والظاهر ان عرب البادية لم يكونوا يقسمون النجوم الى مجاميع كما قسمها المصريون واليونانيون وغيرهم بل كانوا يسمون الكبيرة منها كالسماك الرامح والسماك الاعزل والعيوق والدبران والجاميع الصغيرة كبنات نعش الكبرى و بنات نعش الصغرى والثريا واولاد الضباع

(١٦) ختم الخلفاء

مرسلين . الخواجا وديع نجار . هل كان الختم مستعملاً في ايام الخلفاء الراشدين وهل كان لابي بكر الصديق ختم وماذا كان مكتوباً عليهِ

ج جاء في مقالة نشرناها في شهر فبراير سنة ١٩٠٣ موضوعها خواتم الخلفاء ان خاتم ابي بكر كان (نعم القادر الله) وخاتم عمر (كفى بالموت واعظاً) وقيل (امنت بالله مخلصاً) وخاتم عثمان (لتصبرنَّ او لتندمنَّ) وقيل (امنت بالذي خلق فسوَّى) وخاتم علي (الملك لله) وقيل (ربي الله مخلصاً) وقيل (نعم القادر الله) وزادها السيوطي (تعالى) . وقد جمع ذلك حضرة الباحث المحقق حكمت افندي شربك . ولا نرى في اختلاف الروايات ما يضعفها لان صناعة نقش الخواتم من اقدم الصناعات وقد وجدت خواتم كثيرة عند المصريين والاشوريين منقوشة قبل الهجرة بالوف من السنين ولانهُ يحتمل ان يستعمل الخليفة الواحد خواتم مختلفة في اوقات مختلفة

باب الاخبار العلمية

اليهود في مصر

ظهر من قراءة دروج البردي التي وجدت في جزيرة اصوان انهُ كان لليهود هناك هيكل كبير من عهد الفراعنة وان كمبيس ملك الفرس ابقى عليهِ لما دوَّخ القطر المصري ولكن الكهنة المصريين خربوهُ قبل المسيح باربعمائة وعشر سنوات فاستعان يهود مصر بكهنة اورشليم ورفعوا الامر الى بجوهي والي اليهودية من قبل الفرس ليأذن لهم في بنائهِ ثانية . وقد ثبت من ذلك ان اليهود كانوا يبنون الهياكل ويقدمون الذبائح في غير اورشليم

الكسوف الكلي

رُصد الكسوف الكلي الذي حدث في ٢ يناير الماضي في جزيرة الصوان بالباسيفيكي الجنوبي وكانت السماء تمطر عند اول الكسوف ثم انقطع المطر حينما بلغ الكسوف تمامهُ وصوَّر الاكليل اربع صور والذين رصدوا الكسوف في جزيرة ساموى تمكنوا من قياس الحرارة بالبولمتر مرارًا كثيرة

تجارة اليابان

يظهر النمو العجيب في تجارة اليابان من تقرير مصلحة الاحصاء المصرية عن السفن التي مرت في ترعة السويس في الثمانية الاشهر الاولى من العام الماضي فقد كانت السفن اليابانية منها ٤٣ سفينة محمولها ٣٣٤٠١٩ طنًّا وهي تضاهي السفن الروسية التجارية لان محمول هذه ٣٣٤٤٣٦ طنًّا وتزيد على محمول السفن الايطالية ولكنها لا تزال دون السفن الالمانية والفرنسوية والهولندية والنمسوية

غريبة جبرية

١٦ — ٣٦ = ٢٥ — ٤٥

اضف $\frac{٨١}{٤}$ الى الجانبين فتصير

$١٦ - ٣٦ + \frac{٨١}{٤} = ٢٥ - ٤٥ + \frac{٨١}{٤}$

وكل طرف مربع كية ثنائية سلبية فاذًا

$(٤ - ٩/٢)^٢ = (٥ - ٩/٢)^٢$

اي ان ٤ = ٥

فهل من رياضي لبيب يبين سبب ذلك او يصحح ما في هذه المعادلات من الخطإ

الاستاذ يتغ

توفي الاستاذ تشارلس يتغ الفلكي الاميركي الذائع الصيت استاذ الفلك في مدرسة برنستن الجامعة في الثالثة والسبعين من عمرهِ وهو ابن الاستاذ ارا يتغ الذي كان استاذ

الفلسفة الطبيعيَّة والفلك في مدرسة دارتموث الكلية . ولد في ١٥ دسمبر سنة ١٨٣٤ واتمَّ دروسهُ وجُعل استاذًا للفلسفة الطبيعيَّة والفلك بدلاً من ابيهِ سنة ١٨٦٦ وانتقل الى مدرسة برنستن الجامعة سنة ١٨٧٧ استاذًا للفلك وبقي في هذا المنصب الى سنة ١٩٠٥ حين استعفى منهُ وقُدِّم لهُ حينئذٍ كاس بديعة نقش عليها باليونانيَّة ما ترجمتهُ

" اعلمُ اني سائت وابن يوم ولكني حينما ابحث في افلاك الكواكب ومداراتها اشعر اني ارتفعت عن الارض وجلست مع زيس نفسهِ واستنشقت نفس السماء "

وكان اكثر اشتغالهِ بالمباحث المتعلقة بالشمس فرصد الكسوف الذي حدث في ٧ اغسطس سنة ١٨٦٩ وحقق امورًا مهمة ثم رصد الكسوف الذي حدث في دسمبر سنة ١٨٧٠ في اسبانيا واكتشف فيهِ انقلاب الخطوط المظلمة في طيف الشمس فمنحتهُ الاكاديمية الفرنسوية نشان جانسن سنة ١٨٩١ ورصد عبور الزهرة في بلاد الصين سنة ١٨٧٤ وعبورها سنة ١٨٨٢ ولهُ مكتشفات شتى تتعلق بالبحث الطيفي عن الشمس ومؤلفات كثيرة مشهورة منها كتابهُ عن الشمس وكتابهُ مبادئ علم الفلك ودروس في علم الفلك وعلم الفلك العام ونحو ذلك وقد منح القابًا علمية كثيرة وكان عضوًا في جمعيات علمية عديدة وكانت وفاتهُ في الرابع من يناير

مناجم الذهب

قال المستر ودجفن في مجلَّة العلم العام ان الذهب الذي استخرج من الارض سنة ١٩٠٦ بلغ ما قيمتهُ ٤٠٧٣٧٩٨٩٣ ريالاً وهي مستخرجة من مناجم الذهب في المسكونة على ما في هذا الجدول

افريقية الجنوبية	١٣٣٦٣٤٥٠٦
الولايات المتحدة والاسكا	٠٩٦١٠١٤٠٠
استراليا ونيوزيلندا الجديدة	٠٨٢٣٣٧٢٢٨
روسيا وسيبيريا	٠٢٢٤٦٩٤٣٢
المكسيك	٠١٦٦٣٩٣٥٠
كندا ونيوفوندلند	٠١٢١١٦٤٣٢
الهند	٠١١٩٢٥٧١١
اميركا الجنوبيَّة والمتوسطة	٠١٠٩٧٠١٨٧
اليابان وكوريا	٠٠٧٠٠٠٠٠٠
اوربا ما عدا روسيا	٠٠٥٦١٦٠٣٩
الصين	٠٠٤٥٠٠٠٠٠
بقيَّة البلدان	٠٠٤١٦٩٦٠٨
والجملة	٤٠٧٣٧٩٨٩٣

او نحو ٨١ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات المصرية او اكثر من ٨٢ مليونًا من الجنيهات الانكليزية . وذكر هزل في كتابهِ السنوي مقدار الذهب الذي استخرج من مناجم الارض منذ عشرين سنة الى الآن فكان اولاً يساوي نحو ٢٧ مليونًا من الجنيهات ثم هبط الى ٢١ مليونًا سنة ١٨٨٥ وزاد بعد ذلك

رويدًا رويدًا فبلغ نحو ٣ مليونًا سنة ١٨٩٢ ونحو ٤٢ مليونًا سنة ١٨٩٦ ونحو ٦٠ مليونًا سنة ١٩٠٠ ثم هبط في السنة التالية الى نحو ٥٤ مليونًا وعاد الى الزيادة فبلغ ٦١ مليونًا سنة ١٩٠٢ و ٦٧ مليونًا سنة ١٩٠٣ و ٧١ مليونًا سنة ١٩٠٤ و ٧٧ مليونًا سنة ١٩٠٥

طيارة فارمن

صنع المستر هنري فارمن آلة طار بها في ١٣ يناير طيرانًا وفى بالشروط الموضوعة لمن ينال جائزة دتش ارتشديكن فرّ بها بين عمودين منصوبين لهذه الغاية ووصل الى الغرض ودار حوله وعاد الى المكان الذي طار منهُ وقطع اكثر من كيلومتر في دقيقة و٢٨ ثانية . وآلتهُ مؤلفة من اربعة سطوح متوازية السطحان المتقدمان منها طول كل منهما ١٢ مترًا وعرضهُ مترانِ والبعد بينهما مترانِ والسطحان المؤخران طول كل منهما ستة امتار وبينهما دفّة عمودية وامام السطحين المتقدمين دفة افقيّة والمحرك الذي يحرك هذه الآلة واناء البترول في صندوق منزلي في مقدّم الآلة وقوة المحرك ٤٠ الى ٥٠ حصانًا مترياً والآلة قائمة على اربع عجلات وطولها كلها عشرة امتار وثقلها ٥٠٠ كيلو غرام ومساحة سطوحها ٥٢ مترًا مربعًا وهو يركبها ويجري بها اولاً على الارض كما يجري الطائر الكبير قبل ان يطير حتى اذا ارتفعت الهواء يسيرها هذا ارتفعت فيهِ والراكب فيها يديرها كما يشاء

عمل الماس

ادّعى مهندس كهربائي فرنسوي اسمهُ لموان انهُ اكتشف طريقة لعمل الماس واقنع رجلاً انكليزيًّا اسمهُ السر بولبوس ورتشر بصحة دعواهُ واخذ منهُ اكثر من ستين الف جنيه وكتب طريقة عمله في ورقة وضعت في بنك من بنوك لندن . ثم حدث خلاف بينهما وقبض على المسيو لموان بحجة انهُ خدع السر بوليوس ورتشر والمسيو لموان يدّعي ان طريقتهُ صحيحة وانهُ صنع بها كثيرًا من الماس ولكنهُ ابى ان يكشف سرَّ عمله . وقد شهد كثيرون انهم رأوا المسيو لموان يصنع الماس وفي جملتهم لورد ارمستريج فقد قال لمكاتب الديلي كرونكل ان المسيو لموان اعطاني مسحوقًا تركتهُ بالماء لي جيدًا فلما جففتهُ شيئًا ووضعتهُ انا بنفسي في بوتقة فارغة وسددتها ووضعتها في الاتون الكهربائي وكان المسيو لموان واقفًا بعيدًا عني ثم اخرجت البوتقة من الاتون حالما اشار اليَّ لاخرجها فوجدت فيها جسمًا صلبًا مجتمعًا تركتهُ حتى يرد امام عينيَّ ثم كسرتهُ فوجدت فيهِ حجارة ماس بعضها تام وبعضها غير تام

ويقال ان المسيو لموان يصنع الماس من

نوع من السكر فان الماس كربون صرف متبلور والسكر مركب كيماويًا من الكربون والماء فاذا امكن ان يذاب بالحرارة ويخرج الماء منهُ ويتبلور ثانية فلا يستحيل ان يصير ماسًا ومع ذلك يحتمل ان يكون المسيو لامواني خادعًا وان يكون قد صنع بوانق مبطنة بمادة سهلة التصير ووضع حجارة ماس تحت البطانة فلما اشتدت الحرارة عليها ذابت البطانة وامتزجت بحجارة الماس

كنز من كنوز ارخميدس

ارخميدس من اشهر علماء الرياضيات عند اليونان وقد كُشف كتاب من كتبهِ في الاستانة سنة ١٨٩٩ على رق عليهِ كتابة اخرى فقضى الاستاذان شوين وهيبرج الى الاستانة واطلعا عليهِ فوجداهُ اربعة اجزاء بعضها معروف من قبل والجزء الرابع منها في تربيع الشكل الشلجمي وفي معرفة الاجرام ومراكز الثقل للكرات والشبيهات بالاهليلجي والشبيهات بالشلجمي والشبيهات بالمذلولي . والطريقة التي جرى عليها في حل هذه المسائل وفي طريقة الثاني سبق بها المتأخرين . ومما يستحق الذكر ان ذلك الفيلسوف اعتمد على قواعد المخل في موازنة مواد الاجسام المتحركة ولقد رأينا استاذنا المرحوم اسعد الشدودي يجري على قواعد المخل في معرفة موازنة الاجسام المتحركة ولا ندري هل استنبط ذلك استنباطًا او عثر على نسخة من كتاب ارخميدس هذا

التصوير بالتلغراف

طريقة بلين

شرحنا في العام الماضي طريقة الاستاذ كورن لنقل الصور الفوتوغرافية بالتلغراف ورسمنا الاجزاء الجوهرية من آلتهِ الاَّ ان طريقتهُ لا ينقل بها غير صور الوجوه الواضحة واما صور الملابس والبلدان والمناظر الطبيعية فلا تظهر بها لقلة وضوحها . وقد استنبط رجل فرنسوي اسمهُ ادوار بلين طريقة مثل طريقتهِ ولكنها ادق منها واوفى بنقل الصور المطبوعة وهي مؤلفة من اسطوانة كبيرة تلف عليها الصورة التي يراد نقلها بالتلغراف ويكفي ان تكون مطبوعة على ورقة سميكة والاسطوانة تدور على محورها وتتقدم قليلاً في دورانها كما تتقدم اسطوانة التوتوغراف وامامها قضيب فيهِ قلم لهُ رأس دقيق جدًّا من حجر الصفير تنوَّر دقائق الصورة في القلم وفي العمود المتصل بهِ تأثيرًا يحملهُ المجرى الكهربائي . والتأثير حاصل من ان الاجزاء السوداء في الصورة يكون الحبر سميكًا عليها فتكون اعلى من الاجزاء التي هي افتح منها سوادًا . والمجرى الكهربائي او التأثير الكهربائي يصل الى مرآة صغيرة بين لفتين

كهربائيتين لاظهار الاهتزاز وعلى هذه المرآة يجتمع النور الساطع من عدسة كبيرة كما في آلة الاستاذ كورن ثم ينعكس عنها متأثرًا بالمجرى الكهربائي ويمر في لوح من الزجاج مصبوغ بصباغ يتدرَّج من الاسود الى الرمادي فالابيض ثم يمرُّ في عدسية تجمعهُ في نقطة دقيقة جدًّا ومحل اجتماعه ثقب ضيق في لوح تمامهُ اسطوانة عليها ورق حساس موضوعة في غرفة مظلمة فيصل النور الى الورق الحساس شكيفًا يفعل المجرى الكهربائي الذي فعلت به الصورة فيؤثر في الورق الحساس حسب الصورة المنقوشة على الاسطوانة الاولى حتى اذا كانت الاسطوانة الاولى في القاهرة والثانية في الاسكندرية ارتسمت الصورة في الاسكندرية على الورق بكل تفاصيلها . والاسطوانة الثانية تدور كما تدور الاسطوانة الاولى تمامًا ولكن يصح ان تكون قدر الاسطوانة الاولى او اكبر او اصغر ويمكن جعل الصورة الثانية اوضح من الاولى او مثلها او اقل منها وضوحًا حسب لون الجزء الذي يمرُّ النور فيه من اللوح المعترض سيرهُ . وقد امتحنت هذه الآلة في دار الجمعية الفوتوغرافية الفرنسوية وكان بين جزئيها لفات من السلك طولها ٧٥٠ ميلاً فكان البعد بين الجزئين ٧٥٠ ميلاً . ونشرت السينماتوغرافيك اميركان صورة المصور بلين بهذه الآلة وهي دقيقة واضحة جدًّا وقد ظهر فيها رأسهُ وحيثهُ وبدنهُ وثيابهُ الى تحت وسطه

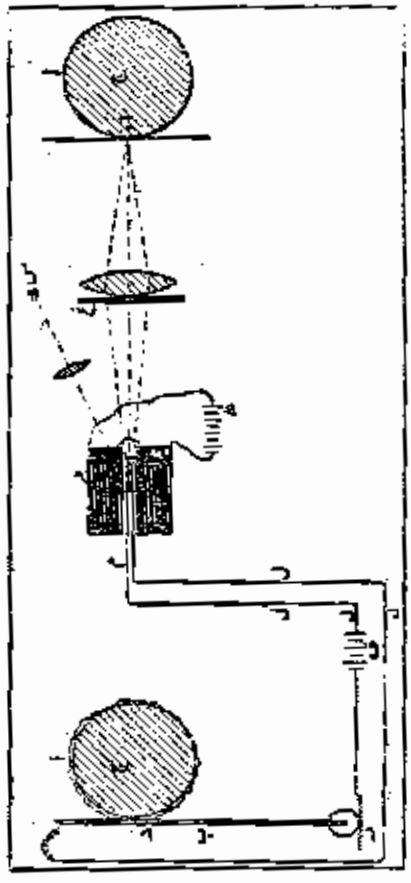

ترى في الرسم السابق من الاسفل ج الاسطوانة التي توضع عليها الصورة ا وعند د قلم يمرُّ على الصورة وب المحل المتصل بالقلم وف بطرية كهربائية و ل ل مكانان كهربائيان وم مرآة ر س المصباح الساطع النور وع اللوح الملون وبعدهُ العدسية التي تجمع النور على الاسطوانة العليا وعليها اللوح الحساس

معرض الخرائط المصرية

عرضت ادارة المساحة المصرية ما صنعتهُ من الخرائط البسيطة والملونة والآلات التي تستعملها في رسمها وطبعها . وكان في المعرض مئات من الرسوم والخرائط والصور الملونة بعضها كبير جدًّا يقاس طولهُ وعرضهُ بالامتار وبعضها صغير دقيق وكلها في منتهى الاتقان ولو قوبلت بالخرائط المصنوعة في اوربا

والخرائط على انواع بعضها لحدود الاراضي لا غير وما فيها من العزب والترع والمصارف وبعضها لشكلها الظاهر فيرى ما فيها من الجبال والآكام والمرتفعات والمنخفضات وبعضها لبنائها الجيولوجي فترى فيهِ انواع صخورها وبعضها لما هو مزروع فيها من القطن والفول والقمح والشعير والبرسيم وهلمَّ جديدة وتجدَّد كل سنة . والصور كثيرة الاشكال واكثرها مختص بالمواضيع العلميَّة التي يبحث فيها في هذا القطر كانواع الصخور واشكال الحشرات والامراض التي تعتري النبات

وتمتاز هذه الخرائط بان اسماءها مكتوبة بالعربيَّة بخط جميل فهي غاية ما يحتاج اليهِ وقد شرف الجناب الخديوي افتتاح هذا المعرض وتردَّد عليهِ الزوار كل مدة افتتاحهِ وسروا بما شاهدوهُ فيهِ وهو يعود بالفخر على جناب الكبتن لِيونس والرجال الذين يساعدونهُ في هذا العمل المفيد

نور القمر

قاس العالمان ستبنس وبيرون نور القمر بطريات من معدن السلينيوم فوجدوا ان نور البدر يساوي نحو ٢٣ في المئة من نور الشمعة وهو تسعة اضعاف نور القمر ابن سبعة ايام وان نورهُ يكون بين الربع الاول والبدر اسطع منهُ بين البدر والربع الاخير

البومة المنيرة

ذكرنا في الجزء الماضي ان السر دغبي بغوت رأى طائرًا يرى ليلاً منيرًا كالحباحب وظن انهُ من جنس من البوم . ثم ثبت انهُ من بوم الاهراء وقال كثيرون انهم شاهدوهُ ينير ليلاً وقد علَّلت احدى السيدات ذلك بان هذا البوم يجثم على الخشب اليابس وفي هذا الخشب مادة فصفورية تنير ليلاً فيشتمل بهِ ريش البوم ويتلوث بالمادة الفصفورية فيصير منيرًا

جوائز نوبل

اعطيت جوائز نوبل في الطبيعيات للاستاذ متشلسن من اساتذة مدرسة شيكاغو الجامعة وفي الكيمياء للاستاذ ادورد مخارمن اساتذة مدرسة الزراعة ببرلين وفي الطب للسيو لافران الفرنسوي وفي الانشاء للسيو رديرد كبلنغ الروائي وفي توطيد السلم للسيو رنول والمسيو موتا

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثالث والثلاثين

٩٧ الجيش العثماني
٩٩ الواحات المصرية (مصوَّرة)
١٠٥ علم ما في الزمان المستقبل . للاستاذ ابرهيم الحوراني
١٠٧ ترع الريح والحياة فيهِ . للاستاذ منصور حنا جرداق
١١٣ دير مار مارون . للخواجه يوسف اليان سركيس
١١٦ الاسماء . ر . ن
١٢٢ الفلسفة عند اليهود م . ن
١٢٧ الارادة . لعبد الغني العريسي
١٣٢ اصل النبط في البتراء . للاستاذ جبر ضومط
١٤٠ العلم في العام الماضي
١٤٣ فكرة الخير والشر . للدكتور شبلي شميل
١٤٧ الديموجرافيا
١٤٩ العام الماضي

---

١٥٣ باب تدبير المنزل * كيف تصير قوياً . الشب الابيض لمع العث . البيض وحفظهُ
١٥٩ باب الزراعة * الخزانات وموسم القطن . ديون الفلاح المصري . البنك الزراعي وديون الفلاح . مستقبل زراعة القطن
١٦٩ باب المراسلة والمحاضرة * ترجمات عظماء المشرق . ملك اسرج وتاريخ العرب
١٧٣ باب المسائل * الكهرباء والسرعة . ماركس ريفرليوس . علامة الطهر . الاشربة الروحية ايمان لورد كلفن . العلم والدين . ازلية المادة . البابية . مخترع المغزل . ضرر السعوط موضع الدماغ والسكر . العدد الذهبي . النهارات السبعة . أكبر السيارات . اسماء صور السماء . ختوم المختلفاء
١٧٨ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٤ نبذة

رواية فتاة الفيوم ملحقة بالمقتطف